التقوى
المجلد ٣٨ - العدد ٨
جمادي الثانية ورجب ١٤٤٧هـ/ كانون الأول- ديسمبر/ ٢٠٢٥
فتح الشام

**إسلامية شهرية**

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

**رئيس التحرير**

أبو حمزة التونسي

**هيئة التحرير**

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

**الهيئة الإدارية**

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

**مشرف الموقع**

نفيس أحمد قمر

**الاتصالات:**

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

**مواد دينية، ثقافية،**
**تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.**

**إخـــلاء المســـؤولية:** تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

# المحتويات

ديسمبر 2025 | المجلد 38 | العدد 8

جمادى الثانية ورجب 1447 هـ /كانون الأول ديسمبر 2025

2 | **كلمة التقوى**
المجاهدات ضريبة الترقيات

4 | **في رحاب القرآن**
ازدهار جماعة المؤمنين بالاصطبار للعبادة

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
فضل الصبر على الفتن والملمات

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
صلاح الحكومات بتهذيب النفس، لا بالمظاهرات

10 | **من سجل الفتوحات الإسلامية.. فتح الشام**
خطبة الجمعة ٢٠٢١/٩/١٠

20 | **ضرب الأمثال في القرآن الكريم**
أديب بت

24 | **تشريع الطلاق.. سم أم ترياق**
ريم إبراهيم

28 | **براءة المسلمين من تهمة إحراق مكتبة الاسكندرية** د. منى محمد

33 | **الرياضة وتعزيز الشخصية.. القوة الحقيقية في أبعاد ثلاثة** د. أحمد وائل

فتح بلاد الشام نقطة مفصلية، تحوَّل عندها مسار التاريخ الإسلامي بوجه خاص، والتاريخ الإنساني بوجه عام، بما نشاهده ونسمعه من تغيرات دراماتيكية على الساحة السياسية العالمية هذه الأيام.

# المُجَاهَدَاتُ ضَرِيبَةُ التَّرَقِّيَات

**مع** طي العالم سجل عام ٢٠٢٥، ينظر كلُّ شخص فيما حققه على مدار عام على أهبة الاستعداد للرحيل، سعيًا إلى ولوج عام جديد مفعَم بالترقيات والنجاحات المأمولة. علمًا أن كل ترقٍّ يُسعى إلى بلوغه يتطلب نوعا من المجاهدة والمكابدة، انطلاقا من المبدأ الراسي من لدن المولى ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ.﴾[١]. إذن فكل ترقٍّ يتطلب تعبًا ومجاهدة ومعاناة، لهذا لم يكن مستغرَبًا أن يشير سيدنا خاتم النبيين ﷺ في حديثه الشريف حيث قال: «ذروةُ سنامِ الإسلامِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ»[٢]، دون أن يقصر حضرته ﷺ معنى الجهاد على القتال فقط، فقد أراد ﷺ من مصطلح «الجهاد» دلالته الأشمل والأوسع، والتي هي المعاناة والمكابدة والجهد الإيجابي المبذول بغية إحداث فرق. وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»[٣].

ولندع النقاش الديني جانبا لبرهة، ولننظر إلى الأمر برمته من منظور إنساني لغوي بحت، بوصف اللغة خاصية إنسانية، فالجهاد لفظ مأخوذ من «الجَهد»، أي التعب والمشقة، وهي الصفة الملازمة لطبيعة الحياة على هذا الكوكب، فلو لم يُبذل الجُهدُ وتُكابَد المشقةُ لما تحققت للكائن الحي ثمرة عمل تُذكر، والجارحة التي لا يُجهِدُها صاحبها سرعان ما تضمر لا محالة، وهذا أمر مسلَّم بصحته على المستوى البيولوجي. وعلى المستوى الروحاني يعد الابتلاء الذي يتعرض له الإنسان عموما والمؤمن خصوصا أبرز البواعث على الدعاء المستجاب، إذ يُوَلِّدُ حالا من الاضطرار الذي هو أساس الاستجابة، وما يصح هنا على الفرد يصح بالمثل على الجماعة، فمن رحم معاناتها تولد ترقياتها ونهضتها.

فلا يخلو يوم المخلوق من معاناة وشقاء بصورة ما، ولولاها لما تأتّى لنا، كأناسيّ، تحصيل الأفضال والإنعامات التي عليها مدار تكليفنا، ومن ثم ترقينا وتطورنا.

ووَاهِمٌ من يظن أن المشاريع العظيمة تُقام هكذا بمنتهى البساطة دون مُعوقات، فما من قصة نجاح إلا وفي سبيل تحققها مُنِيَ صاحبها بإخفاقات ومثبّطات، وكلما عظمت تطلعات المرء، كانت الحرب عليه أعتى وأشد، فسموُّ الغاية وضراوة الصعوبات ضدان لا يفترقان، كوجهي العملة الواحدة، ووراء الأمر مظهر روحاني لحقيقة فيزيائية نعاينها من حولنا باستمرار في القانون السائد في الطبيعة، ألا نرى أن حال اتزان الأجسام على إطلاقها، من الذرة إلى المجرة، تقتضي وقوعها تحت تأثير قوتين اثنتين متساويتين في المقدار ومتضادتين في الاتجاه؟! فكذلك كلما كانت الغاية الروحانية سامية، كانت محاولات عرقلة بلوغها عاتية بقدر سمو تلك الغاية بنفسها، وبهذا يتأتى للكون من حولنا أن يتزن وتتجلى فيه آيات الجمال والجلال والكمال، وذلك الأمر بحد ذاته سُنة كونية أجرى الله تعالى عليها كلا العالمين، الروحاني والمادي على حد

**لذا حقَّ لنا أن نفرد مادة علمية تبرِّئ ساحة الفتح الإسلامي من تهمة مشينة، وهنا نذكر فتح بلاد الشام، الذي أضحى نقطة مفصلية، غيرت وجهة التاريخ الإسلامي بوجه خاص، والتاريخ الإنساني بوجه عام، بما نشاهده ونسمعه من تغيرات دراماتيكية على الساحة السياسية العالمية هذه الأيام.**

سواء، ليكون أحدهما على الآخر شاهدًا ودليلًا، فسبحان الله العليم الحكيم!

ومن الغايات الروحانية المتوخَّاة في شريعة الإسلام حفظ كيان الأسرة، بوصف الأسرة صورة مصغرة للمجتمع، وحيثما سَلِمَ نسيجها سلم بالتبعية نسيج المجتمع ككل. ومن التدابير التي وضعها الشارع الحكيم لحماية الأسرة تشريع الطلاق، الذي يُعدُّ آخر مراحل العلاج، فهو كالبتر الذي لا يُلجأ إليه إلا اضطرارًا، وعكوف المرء على سلوك سبل حماية الأسرة دون الضغط على زر الطلاق لهو مجاهدة بحد ذاته!

وفي عدد شهر ديسمبر ٢٠٢٥، تعيد التقوى فتح ملف الجهاد من زوايا شتى، فبدءًا بخطبة سيدنا أمير المؤمنين (أيده الله تعالى بنصره العزيز) والمتخيَّرة للعرض في هذا العدد نتطرَّق إلى ملف الجهاد ولوجًا من باب الفتوحات الإسلامية، بعرض أحداث تاريخية تثبت نصاعة سيرة تلك الفتوحات، وهي الفتوحات التي دأب الخصوم على تشويه سمعتها ظلما وزورا، لذا حقَّ لنا أن نفرد مادة علمية تبرِّئ ساحة الفتح الإسلامي من تهمة مشينة، وهنا نذكر فتح بلاد الشام، الذي أضحى نقطة مفصلية، غيرت وجهة التاريخ الإسلامي بوجه خاص، والتاريخ الإنساني بوجه عام، بما نشاهده ونسمعه من تغيرات دراماتيكية على الساحة السياسية العالمية هذه الأيام. ولا يفوت أسرة التحرير أن تفرد مادة مقالية تُبرز ضرورة بذل الجهد النفسي والفكري وحتى البدني في مجالات شتى، من بينها العلاقات الإنسانية، والصحة النفسية، وكذلك البدنية، إضافة إلى الأبواب الثابتة التي ينفتح كل منها على مادة ثرية مُثرية بهذا الصدد، آملين من الله تعالى ألا يطوي صفحة هذا العام إلا وقد أدركنا الغاية من المجاهدات التي كابدناها على مدار عام ٢٠٢٥، بادئين بروح متفائلة عام ٢٠٢٦، وداعين إياه عز وجل أن يتجاوز عن زلاتنا في عام فات، ويعيننا على كسب الحسنات فيما هو آت، آمين.

**الهوامش:**

١. (البلد: ٥)

٢. أخرجه الطبراني

٣. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب

# ازدهار جماعة المؤمنين بالاصطبار للعبادة

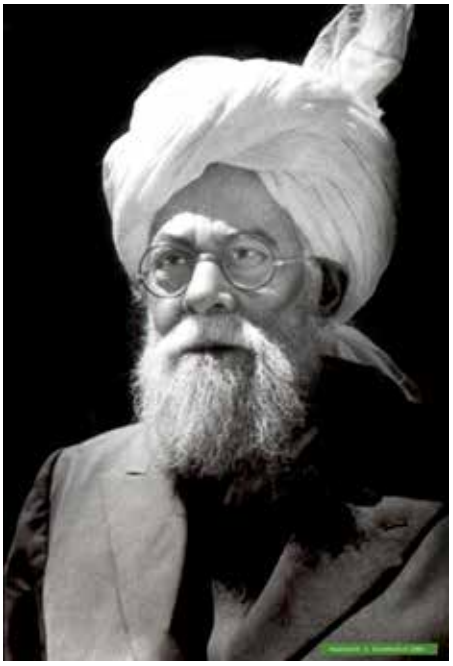

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ
وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥
وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ٦٦
أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧

**﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾** (مريم ٦٦)

**التفسير:**

يقال: اصطبرَ على الشيء، أي تمسَّكَ به بشجاعة وجلد. غير أن الله تعالى لا يقول هنا «اصطبِرْ على عبادته»، بل يقول ﴿واصطبِرْ لعبادته﴾، ومعناه عليك أن تبدي الشجاعة والجلد من أجل عبادته ﷻ. وهكذا قد بين الله تعالى لرسوله بقوله ﴿فاعبُدْه واصطبِرْ لعبادته﴾ أن القوم لن يسمحوا لك بأن تعبد الله عبادة خالصة، فلا تكترث لهم، بل عليك التحلي بالشجاعة والجلد بهذا الصدد. ثم قال تعالى ﴿لعبادته﴾.. أي يجب أن تتحلى بهذه المزايا من أجل العبادة فقط. ذلك لأن الإنسان يمكن أن يقوم بالعبادة لأسباب أخرى أيضًا، لذلك يأمرنا الله تعالى أن نبدي الشجاعة من أجل العبادة، ونتحلى بالجلد من أجل العبادة، ونتصف بالثبات من أجل العبادة. فكأنه تعالى يريد منا أن لا نحب العبادة لمآرب أخرى، وإنما نحب الأشياء الأخرى حبًّا للعبادة، فلا تكون العبادة سببًا بل تصبح هدفًا وغاية.

فقوله تعالى ﴿واصطبِرْ لعبادته﴾ يعني أن عليك أن تتحلى بالبسالة والشجاعة حبًّا للعبادة، وليس لكي تبقى قائمًا على العبادة. عليك أن تتصف بالبسالة حبًّا لعبادته ﷻ، وتتشجع حبًّا لها، وتبدي الثبات حبًّا لها، حتى تكون عبادتك أفضل وأعلى درجة، وحتى لا تكون عبادتك سببًا،

**فقولـه تعالى ﴿واصطبرْ لعبادته﴾ يعني أن عليك أن تتحلى بالبسالة والشجاعة حبًّا للعبادة، وليس لكي تبقى قائمًا على العبادة. عليك أن تتصف بالبسالة حبًّا لعبادته ﷻ، وتتشجع حبًّا لها، وتبدي الثبات حبًّا لها، حتى تكون عبادتك أفضل وأعلى درجة، وحتى لا تكون عبادتك سببًا، بل تصبح غاية وهدفًا.**

بل تصبح غاية وهدفًا.

أما قوله تعالى ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ فقد أشار به إلى أن الله تعالى سيكشف الآن عمليًّا أنه رب العالمين وليس برب بني إسرائيل فقط.

**﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾**

(مريم ٦٧-٦٨)

**التفسير:**

لقد ظلت الحياة بعد الموت على مر العصور موضع شك وشبهة لدى الناس، أيًا كان شعبهم أو ديانتهم. ذلك لأن تلك الحياة لا تُرى، كما لا تبقى بالناس أي صلة بالموتى إلا الذين يكونون من الطراز الأول من الروحانيين. ولكن الغريب أن تلك الحياة التي يشك فيها أكثرَ من أي شيء آخر، فإنها هي أكثر ما يوقن به الناس، حيث يوزعون الطعام والثياب على الفقراء باسم موتاهم، كما يتمنون زيارتهم أيضًا. إذا نظرتَ إلى سلوك الناس وجدتهم لا يوقنون بالحياة بعد الموت، حيث لا تجد في تصرفاتهم أي أثر للإيمان بالحياة بعد الموت، مع أن المرء إذا كان مؤمنًا حقًّا بالمثول أمام الله تعالى بعد الموت ليحاسبه على أعماله للزم أن يؤثّر هذا الإيمانُ في حياته ويُصلِح أعماله، ويطهّر أفكاره. فبالرغم أنك لا تجد لإيمانه أي تأثير على حياته، إلا أنك تجده يقوم بكثير من الأعمال الخيرية إيصالاً لثوابها إلى أقاربه الموتى، فيُطعم الفقراءَ الطعام، ويوزع عليهم الثياب باسم هؤلاء الأموات. إنه تناقض غريب نراه في عمل الإنسان. وبسبب هذه الحالة المريبة في عمله لا نستطيع أن نجزم فيما إذا كان غير موقن بالحياة بعد الموت، أم أنه موقن بها. فإننا حين ننظر إلى حياته هو لا نجد في أعماله وتصرفاته تأثير الإيمان بالحياة بعد الموت كما ينبغي، ولكننا حين ننظر إلى مشاعره تجاه أقاربه الموتى نجد في قلبه لوعة ولهفة لأن يكونوا أحياء حتى يلقاهم.

فهناك فئة من الناس تقول أن لا حياة لنا بعد الموت، وثمة فئة أخرى تؤمن بالحياة بعد الموت. ولكن الذين يؤمنون بالحياة بعد الموت ترى في تصرفاتهم أيضًا ما يوهم أنهم غير مؤمنين بالحياة بعد الموت. أما الذين يقولون أنهم لا حياة لهم بعد الموت ترى في تصرفاتهم أحيانًا ما يدل على أنهم مؤمنون بتلك الحياة. وكأن الذين يقولون «نَعَمْ» يأتي عليهم

زمنُ «لا»، وأما الذين يقولون «لا» فيأتي عليهم زمنُ «نعم». وعلى العموم فإن الإنسان ليس بجاهز، فيما يخص حياته هو، أن يصوغ أعماله وتصرفاته وفق إيمانه بالحياة بعد الموت، ولكن فيما يتعلق بإعرابه عن مشاعره تجاه أقاربه الموتى فإنه جاهز لأن يضحي من أجلهم. وذلك لأن التضحية التي يقدمها من أجلهم ليست كبيرة ولا ثقيلة، إذ لا تكلّفه إلا إخراج بعض المال وتوزيع بعض الطعام والثياب على ذوي الحاجة صدقةً عن أقاربه الموتى. وأما أن يُحدث تغييراً طيبًا في حياته هو فهذا عبء ثقيل يصعب عليه حمله. إذ يعني ذلك أن يقول الصدق، ويتنكب عن الكذب والغش، ويقضي على أهواء النفس، ويطيع أوامر الله تعالى. وهذه الأمور كلها تتطلب منه تضحية جسيمة جدًّا، فلا يستعد لها. ولكنه جاهز لأن يوزع بعض الطعام والثياب لأنه سهل نسبيًّا.

وترى أن الإنسان المشار إليه في قوله تعالى ﴿ويقول الإنسان أإذا ما مِتُّ لسوف أُخرَجُ حيًّا﴾ لم يقل الله عنه أيضًا أنه ينكر الحياة بعد الموت، وإنما أخبر أنه يقول ﴿أإذا ما مِتُّ لسوف أُخرَج حيًّا﴾.. أي أنه يسأل على طريق التعجب والاستفهام، بمعنى أنه ليس بموقن بأن لا حياة بعد الموت، ولكنه متردد وغير متيقن بها. وهذا يعني أنه في حالة من الشك والشبهة في أمر الآخرة، ولا يعني ذلك أنه غير موقن بالآخرة حتمًا.

لقد بدأتُ بهذه الكلمة التمهيدية لسبب معين، وهو أن النظر إلى عقائد أهل الدنيا يكشف لنا أن الذين ينكرون الحياة بعد الآخرة كليةً قليلون جدًّا، ولكن الذين يؤمنون بالآخرة بيقين كامل هم أيضًا قلة جدًّا. إن الأكثرية الساحقة من الناس، سواء أكانوا من المؤمنين بالحياة بعد الموت أم من غيرهم، يعيشون دائمًا مترددين في أمر الآخرة.

إن من عقائد المسيحيين أن الإنسان سينال حياة جديدة بعد الموت. وفي إحدى المرات قد جرى النقاش بين المسيح واليهود حول هذا الأمر. علمًا أن اليهود كانوا فئتين: فئة تؤمن بالحياة بعد الموت، وفئة تنكر ذلك. فجاء بعض اليهود المنكرين للآخرة المسيحَ وسألوه عنها، فأجابهم وقال: ألم تقرءوا في التوراة أن الرب إلهُ إبراهيم وإلهُ إسحاق وإلهُ يعقوب، «وليس هو إلهَ أمواتٍ بل إلهُ أحياءٍ لأن الجميع عنده أحياء» (لوقا٢٠: ٣٧-٣٨ ومتى ٢٢: ٣٢).. أي كان عليكم أن تدركوا مما ورد في التوراة أن أرواح إبراهيم وإسحاق ويعقوب تتمتع بالحياة، وكذلك أرواح آبائهم أيضًا، وإلا لوجب القول أن ربنا رب الأموات لا رب الأحياء.

كذلك يقول المسيح عليه السلام: «لأنهم في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء» (متى ٢٢: ٣٠).

ويقول بولس: «لأننا نعلم أنه إنْ نقض بيتُ خيمتنا الأرضي فلنا في السماوات بناءٌ من الله، بيتٌ غيرُ مصنوعٍ بَيَدٍ، أبديٌّ» (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٥: ١).

ويذكّر المسيح عليه السلام الناس بالحياة بعد الموت في قصة فقير وغني ويقول: «كان إنسان غني، وكان يلبس الأرجوانَ والبزَّ، وهو يتنعم كل يوم مترفهًا. وكان مسكينٌ اسمه لعازر الذي طُرح عند بابه مضروبًا بالقروح، ويشتهي أن يشبَع من الفتات الساقط من مائدة الغني. بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحَه. فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات الغني أيضًا ودُفِن. فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب، ورأى إبراهيمَ من بعيد ولعازر في حضنه. فنادى وقال يا أبي إبراهيم ارحمني، وأرسل لعازر ليبلّ طرفَ أصبعه بماء، ويبرّد لساني، لأني معذَّب في هذا اللهيب. فقال إبراهيم يا ابني اذكُرْ أنك استوفيتَ خيراتِك في حياتك، وكذلك لعازرُ البلايا. والآن هو يتعزى وأنت تتعذب. وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوّة عظيمة قد أُثبتتْ حتى إن الذين يريدون العبور

من ههنا إليكم لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا. فقال أسألك إذًا يا أبتِ أن ترسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسةَ إخوة، حتى يشهد لهم لكي لا يأتوا هم أيضًا إلى موضع العذاب هذا. قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم. فقال لا يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إنْ قام واحد من الأموات يُصَدِّقون» (لوقا ١٦: ١٩-٣١).

وورد في موضع آخر: «وسمعتُ صوتًا من السماء قائلا لي اكْتُبْ: طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن. نعمْ يقول الروح لكي يستريحوا من أتعابهم، وأعمالهم تَتْبَعهم» (رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٤: ١٣).

إذًا فإن المسيح عليه السلام قد أكد البعث بعد الموت، وأن الكتب المسيحية كلها مليئة بالاعتقاد بأن الإنسان سيوهب حياة جديدة بعد الموت. والفرق الوحيد هو أن المسيحيين يعتقدون أن الأرواح ستعود إلى هذه الدنيا نفسها عند عودة المسيح، وهنا ستنال الثواب أو العقاب. فقد ورد في الإنجيل قول المسيح عليه السلام: «الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلَس ابنُ الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًّا تَدينون أسباطَ إسرائيل الاثني عشر. وكلُّ مَن ترَك بيوتًا أو إخوةً أو أخواتٍ أو أبًا أو أمًّا أو امرأةً أو أولادًا أو حقولاً مِن أجل اسمي، يأخذ مئةَ ضعفٍ، ويرثُ الحياة الأبدية» (متى ١٩: ٢٨-٢٩).

كما ورد في موضع آخر: «ورأيتُ نفوسَ الذين قُتلوا مِن أجل شهادة يسوعَ ومِن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يقبَلوا السِّمَةَ على جباههم وعلى أيديهم، فعاشوا وملَكوا مع المسيح ألفَ سنة. وأما بقية الأموات فلم تَعِشْ حتى تتمّ الألفُ السنةِ. هذه هي القيامة الأولى» (رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢٠: ٤-٥).

فبالرغم من أن كل ديانة قد أكدت الحياة الأخروية، إلا أن أكثر ما ينكره الناس في هذا العصر هو البعث بعد الموت، وتسود قلوبهم حالة من الشك والتردد حول الحياة الآخرة. إذًا فلا يراد بلفظ ﴿الإنسان﴾ هنا الناس كلهم، إذ يوجد بينهم من يوقن بالحياة الآخرة يقينًا تامًّا، بل المراد منه ذلك الإنسان الذي يستغرب من الحياة الآخرة، ويقول هل يُحيَى الإنسان مرة أخرى حقًّا.

**فإذا كان الله تعالى قد قام بتطوير ذلك الشيء الحقير الذليل وجعله إنسانًا، فما العجب في أن يخلق تعالى من هذا الإنسان، الذي يصير رفاتًا وترابًا بعد الموت، إنسانًا جديدًا.**

أما إذا كان ﴿الإنسان﴾ هنا بمعنى الجنس الإنساني كله، فالمراد أنه لمن المستغرب جدًّا أن يقول هذا الذي ينتمي إلى الجنس البشري هل أعود إلى الحياة ثانية. ذلك لأن الإنسان مركب من الأُنس، ويعني في الواقع «أُنسانِ»، وفي فطرته ما يؤكد البعث بعد الموت، فكيف يمكنه أن يقول هل سأعود إلى الحياة ثانية حقًّا؟

ثم يقول الله تعالى ﴿أَوَ لا يذكُر الإنسان أنّا خلقْناه مِن قبلُ ولم يكُ شيئًا﴾.. والمراد من جملة ﴿ولم يكُ شيئًا﴾ أنه لم يكن شيئًا يستحق الذكر، بدليل قوله تعالى في موضع آخر ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ (الإنسان: ٢٣).. أي عندما كان في حالة النطفة أو الجماد والنبات. بمعنى أنه كان عندها شيئًا، ولكنه لم يكن شيئًا مذكورًا.. أي شيئًا ذا بال يستحق الذكر والعناية. فإذا كان الله تعالى قد قام بتطوير ذلك الشيء الحقير الذليل وجعله إنسانًا، فما العجب في أن يخلق تعالى من هذا الإنسان، الذي يصير رفاتًا وترابًا بعد الموت، إنسانًا جديدًا. **(يُتبع)**

# من نسائم الروضة النبوية الشريفة

## فضل الصبر على الفتن والملمات

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا». قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا. قَالَ: »اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ» هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ». (صحيح البخاري، كتاب الفتن)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ، فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ. (سنن أبي داود، كتاب الجهاد)

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فَقَالَ: «اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا». (جامع الترمذي، كتاب الديات عن رسول الله)

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ». (سنن أبي داود، كتاب الطلاق)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْغَضُ الْحَلاَلِ إِلَى اللَّهِ الطَّلاَقُ» . (سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». (جامع الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». (صحيح المسلم، كتاب الوصية)

# هكذا تكلم المسيح الموعود

## إصلاح الحكومات بتهذيب النفس، لا بالمظاهرات

واعلموا أنكم إن كنتم صالحين لأصلحَ الملوك لكم، وكذلك جرت سُنّة الله لقوم يتّقون. وانتهوا من إطراء ملوك الإسلام واستغفِروا لهم إن كنتم تنصحون. ولا تتقدّموا إليهم بموائد فيها سمٌّ فيأكلون ويموتون. وأنتم تعيشون معهم في رخاء وتغترفون من فُضالتهم، فإنْ مسَّهم ضرٌّ فكيف تُعصَمون؟ وإنهم ملكوا رقابكم وأعراضكم وأموالكم، فانصحوا للذين يملكون. وقد جعلهم الله لكم كمُعِدّات، وجعلكم لهم كآلات، فتعاونوا على البر والتقوى إن كنتم تخلصون. ونبِّهوهم على سيئاتهم، وأَعثِروهم على هفواتهم، إن كنتم لا تنافقون.

ووالله إنهم قوم لا يؤدّون حقوق عباد أُمِّروا عليهم ولا يحافظون الفرائض ولا يتعهّدون. وتعرفونه بوجه أكسَفَ مِن بالهم وزيٍّ أوحشَ من حالهم، كأن بواطنهم مُسخت، وكأنهم أُنشِئوا في ما لا يعلمون. وتالله إنّا نرى أن قلوبهم قاسية بل أشدّ قسوةً من أحجار الجبال، وإنّ طبائعهم متوقدة ولا كالنمور وأفاعي الدِحال، وإنهم قوم لا يتضرّعون. فثبت من هذه الأفعال والأعمال، أنهم أسخطوا ربهم واختاروا طرق الضلال، وأكلوا سمًّا زعافًا ثم أشركوا فيه رعاياهم فلهُمْ سهمانِ من الوبال: يرِدُون جهنم ويُورِدون. وكل ما نزل على الإسلام فهو نزل مِن سوء أعمالهم وفساد الأفعال. فهل فيكم رجل يُفهِّمهم نتائج هذه الخصال، أيها المتكلّمون؟ فإنهم قوم ضيّعوا دينهم للأهواء والأعمال، وصاروا كأحولَ في جميع الأحوال، بل أراهم عُمْيًا لا يبصرون.

ولا أقول لكم أن تخرجوا مِن رِبقتهم وتقصدوا سبيل البغاوة والقتال، بل اطلبوا صلاحهم من الله ذي الجلال لعلهم ينتهون. ولا تتوقّعوا منهم أن يُصلحوا ما أفسدت أيدي الدجّال، أو يقيموا الملّة بعد تهافُتها وبعد ما ظهر من الاختلال، ولكلّ موطنٍ رجال كما تعلمون، وهل يُرجى إحياء الناس من الميّت أو الهداية من الضال، أو المطر من الجَهام، أو الولوج في سَمّ الخياط من الجِمال؟ فكيف منهم تتوقعون؟ (الهدى والتبصرة لمن يرى ص ٣١- ٣٣)

# مِنْ سِجِلِّ الفُتُوحَاتِ الإِسْلامِيَّةِ..
# فَتْحُ الشَّام

الترجمة العربية لخطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢١/٩/١٠م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.**

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

**فتح دمشق**

كان الحديث سابقا يجري حول عهد خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه وحول الحروب في زمنه. يتبين من مطالعة كتب التاريخ أن محاصرة دمشق طالت في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى عدة أشهر، وبعد وفاته بفترة وجيزة نال المسلمون الفتح في هذه الحرب. ولكن لما كانت قد بدأت في زمن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لذا سأتناول تفاصيلها في أثناء البيان عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه. والآن سأسرد أحداثا وقعت بعد فتح دمشق.

فبعد فتح دمشق بعث أبو عبيدة خالدَ بن الوليد إلى البقاع[1] ففتحها بالسيف. وبعث سرية فالتقوا

مع الروم بعين ميسنون، وعلى الروم رجل يقال له «سنان» تحدر على المسلمين من عقبة بيروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون «عين ميسنون» عين الشهداء. واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق. وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمُر في سرية ليمهدوا أمرها. (تدمُر مدينة أثرية قديمة ومعروفة في منطقة الشام وتبعد عن حلب على مسافة خمسة أيام، وإن يزيد هذا كان ابن أبي سفيان ﵁)

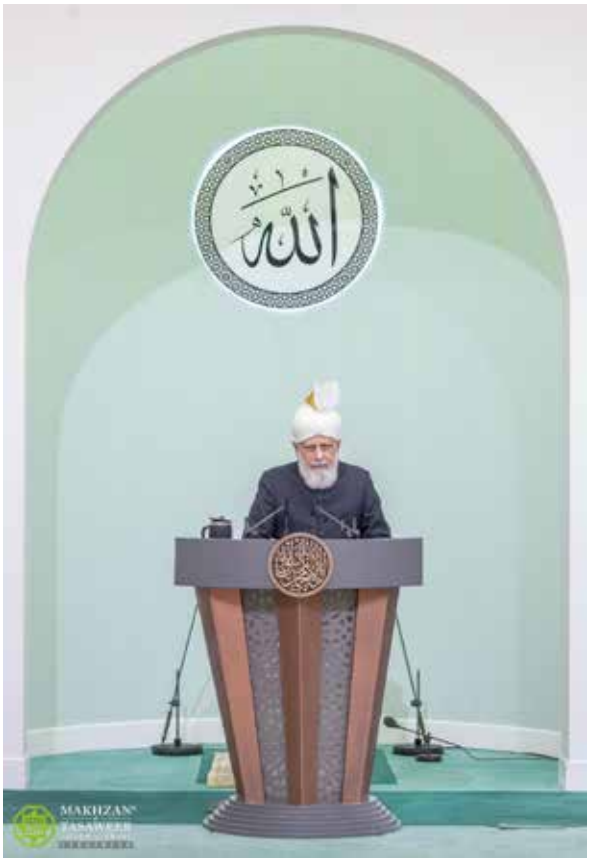


وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البثينة وحوران فصالح أهلها، (والبثينة قرية قرب دمشق، وحوران منطقة واسعة جنوب دمشق وفيها قرى كثيرة وأراض زراعية). افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا العاصمة «طبرية» فإن أهلها صالحوا. عاد خالد أيضا فاتحا أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتابا. (بعلبك أيضا مدينة أثرية قديمة تقع على بُعد ثلاثة أيام من دمشق كما جاء في كتب التاريخ، علما أن السفر في تلك الأيام كان يتم على ظهور الأحصنة أو الجِمال.

**فتح طبقة فحل**

ثم فُتحت طبقة فحل[٢] في ١٤ من الهجرة، فكتب أبو عبيدة أنه علم أن هرقل نازل في حمص ويرسل الجنود من هناك إلى دمشق، وأنا لا أدري بأي الأمرين أبدأ. فجاء الجواب أن يبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، فانهض لها واشغلوا عنكم أهل فِحل بخيول تكون تلقاءهم، فإن فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب، وإن فتحت دمشق قبلها فسِر أنت ومن معك واستخلف على دمشق، فإذا فتح الله عليكم فِحل فسِر أنت وخالد إلى حمص واترك عَمْرًا وشرحبيل على الأردن وفلسطين.

ففور استلام رسالة عمر ﵁ بعث خالد بن الوليد عشرة من قادة الجيش، وأبرزهم أبو الأعور السلمي، إلى فحل، وقصد بنفسه دمشق. ولما رأى جيش الروم المسلمين قادمين إليهم أطلقوا في الأراضي حولهم ماء من بحيرة طبرية ونهر الأردن فصارت الأرض كلها وَحْلا وصعُب عبورها.

على أية حال، الجيش الذي أرسله هرقل لنصرة أهل

دمشق لم يصلهم، لأن الطرق كانت مقطوعة كلها بسبب إطلاق الماء، ولكن المسلمين صمدوا. وبالنظر إلى صمود المسلمين مال النصارى إلى الصلح وأرسلوا إلى أبي عبيدة أن يأتيهم شخص رسولا. فأرسل أبو عبيدة معاذَ بن جبل الذي دعاهم إلى الإسلام فلم يقبلوا الدعوة. وقد عرض الروم على معاذ بن جبل، إضافة إلى أمور أخرى، أنهم يمكن أن يعطوه محافظة البلقاء والمنطقة الملحقة بأراضي المسلمين من الأردن مقابل مغادرته بلادهم والذهاب إلى فارس. وذلك بعد أن كانوا قد جمعوا الجيوش بأنفسهم، ولكن عندما رأوا الهزيمة ماثلة أمام أعينهم قدموا هذا العرض. ولكن معاذا رفض العرض وعاد. ثم أراد الرومان التفاوض مع أبي عبيدة مباشرة فأرسلوا رسولهم لهذا الغرض. عندما وصل الرسول إلى مخيم المسلمين كان أبو عبيدة جالسا على الأرض، وبيده سهام يقلّبها. ظن الرسول أن القائد يكون ذا شأن وجاه، ويكون معروفا بشوكته، ولكنه حيثما ألقى نظره وجد الجنود جميعا على شاكلة واحدة. فسأل فزعا: من قائدكم؟ أشار الناس إلى أبي عبيدة، فاستغرب من الموقف كثيرا وسأل أبا عبيدة مستغربا: هل أنت القائد في الحقيقة؟ قال: نعم. قال: سنعطي كل جندي من جنودك دينارين بشرط أن تغادروا هذه المنطقة، ولكن أبا عبيدة رفض هذا العرض. فغضب الرسول وانصرف. وبالنظر إلى تصرفه أمر أبو عبيدة الجيش أن يعُدّوا عُدّتهم، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد في كل الأحوال. وكتب عن الأحوال السائدة كلها إلى عمر ﷺ، فسمح له عمر ﷺ بالتقدم لأن جيوش الروم كانت في طور الاجتماع، وأوصاه بالثبات والصمود وطمأنه أن الله تعالى ناصره. أمر أبو عبيدة بالاستعداد في اليوم نفسه ولكن الروم لم يخرجوا للمبارزة. وفي صباح اليوم التالي ذهب خالد بن الوليد إلى الميدان مع الفرسان فقط. كان جيش الروم أيضا مستعدا فنشبت الحرب بين الجيشين. ولما رأى القائد الرومي ثبات المسلمين أيقن بأن الاستمرار في القتال عبث وأراد العودة. فنادى خالد بن الوليد بما معناه: لقد أخرج الروم ما كان في جعبتهم، والآن جاء دورنا. عندها شن المسلمون هجوما مباغتًا وهزموا الجيش الرومي. كان النصارى يؤخرون القتال بأعذار منتظرين وصول النصرة. ولكن خالد بن الوليد أدرك كيدهم وقال لأبي عبيدة أن الرومان مرتعبون منا، وهذا هو الوقت المناسب لشن الهجوم عليهم. فأُعلن فورا أن يستعد الجيش لشن الهجوم في الغد. فرتب أبو عبيدة في الهزيع الأخير من الليل صفوف الجيش الذي كان قوامه قرابة خمسين ألفا.

يقول اثنان من مؤرخي سيرة عمر ﷺ، وهما هيكل والصلابي أن عِدَّة هذا الجيش تراوحت بين ثمانين إلى مائة ألف. على أية حال، بعد قتال شديد إلى ساعة تقهقر جيش الروم وهربوا مذعورين. فأمر عمر ﷺ أن تبقى الأرض المفتوحة مِلكا لأصحابها وألا تُسلب من أحد أرضه، ولتُحمى حياة الناس وأموالهم وأراضيهم ومنازلهم ومعابدهم كلها. ولتؤخذ قطعة أرض للمسجد فقط إذا اقتضت الحاجة، أما بقية الأراضي فلتبقَ عند أصحابها.

**فتح بيسان**

لما فرغ شرحبيل من وقعة فحل نهض في الناس ومعه عمرو إلى أهل بيسان[٣] فنزلوا عليهم، بينما توجَّه أبو الأعور والقادة معه على طبرية وقد بلغ أنباء أهل الأردن ما لقي الروم في دمشق وما بعدها من هزائم متتالية. وعلم الناس مسير شرحبيل إليهم ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو يريدون بيسان، وتحصنوا بكل مكان فسار شرحبيل بالناس إلى أهل بيسان فحاصروهم أياما، ثم إنهم خرجوا عليهم فقاتلوهم فأناموا من خرج إليهم وصالحوا بقية أهلها. فقبل المسلمون ذلك على شروط صلح دمشق.

**فتح طبرية والأردن صلحا**

لما بلغ أهل طبرية خبر فتح بيسان وعقد العهد صالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل ففعل فصالحوهم وأهل بيسان على صلح دمشق على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن وما أحاط بها مما يصلها فيدَعون لهم نصفًا، ويجتمعون في النصف الآخر، وعن كل رأس دينار كل سنة وعن كل جريب أرض. ثم بعد ذلك أقام قادة المسلمين مع جنودهم في المناطق المأهولة، واكتمل صلح الأردن وسكنت جميع الكتائب الإمدادية الإسلامية في شتى بقاع الأردن، وأُرسلَ الرسول ببشرى الفتح إلى سيدنا عمر ﷺ.

**فتح حمص**

كان فتح حمص في السنة الرابعة الهجرية. بعد فتح الأردن توجه أبو عبيدة ﷺ مع جيوشه تجاه حمص وهي مدينة في الشام شهيرة ما بين دمشق وحلب، وكانت بالغة الأهمية حربيا وسياسيا، وكان بحمص هيكل كبير يزوره الناس من أماكن بعيدة، ويفتخرون بأن يكونوا من مجاوريه. باختصار، أراد الروم أن يخرجوا للقاء المسلمين بالقرب من حمص (أي أن الروم أنفسهم تقدموا لمحاربة المسلمين)، وخرجوا بعسكر كبير من حمص وتصدوا للمسلمين في مكان يدعى «جوسية»، ولكنهم هُزموا على أيدي المسلمين. وصل أبو عبيده وخالد رضي الله عنهما إلى حمص وقاما بمحاصرتها، كانت الأيام أيام برد قارس. وكان الروم يظنون بأن المسلمين لن يثبتوا في القتال

في أرض فضاء طويلا، كما كانوا يأملون وصول المدد من قبل هرقل الذي كان أرسل جندا من الجزيرة، ولكن سعد بن أبي وقاص ﷺ الذي كان يقود الجنود على الجبهة العراقية أرسل جنودا للقاء الجند الروماني فأوقفوهم في الطريق. قال المؤرخون أن الروم كانوا لابسين أخفافا جلدية مع النعال، ومع ذلك كانت أقدامهم تصبح شبه مشلولة من شدة البرد، أما الصحابة أو الجنود المسلمون فما كانوا يلبسون إلا النعال. ولكن هرقل بعد أن أخبر أهل حمص عن المدد لرفع معنوياتهم للقتال ذهب إلى الروحاء. أغلق أهل حمص أبواب القلعة وظلوا ينتظرون متحصنين بها، وما كانوا يخرجون لقتال المسلمين إلا في يوم قارس جدا. كان الروم ينتظرون المدد من هرقل وآملين أن يهرب المسلمون بأنفسهم عاجزين أمام البرد القارس، ولكنهم ظلوا صامدين، ولم يصل أهلَ حمص أيُّ مدد من قِبَل هرقل. ولما انقضت أيام البرد أيقن أهل حمص أن لا قِبَلَ لهم بقتال المسلمين، فالتمسوا الصلح، فقبل المسلمون طلبهم، وتركوا كل بيوت المدينة لأهلها، وتم الصلح على أن يؤدوا الخراج والجزية كما فعل أهل دمشق. أطلعَ أبو عبيدة سيدنا عمرَ رضي الله عنهما على مُجريات الأمور، فكتب عمر ﷺ في الجواب: ابق حيث أنت، واجمع تحت لوائك القبائل العربية القوية بالشام، وسوف أظل أرسل إليك المدد من هنا باستمرار إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة نفسها كانت الوقعة بمرج الروم، ومرج الروم مكان بالقرب من دمشق. وكان من ذلك أن أبا عبيدة وخالد بن الوليد رضي الله عنهما سارا بمن معهما مِن «فحل» قاصدين حمص، فنزلا على ذي الكلاع، وبلغ خبرهما هرقلَ، فبعث توذرَ البطريقَ حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق، ونزل أبو عبيدة بمرج الروم أيضًا ونازلَه. وكان فصل الشتاء قد دخل وكانت أجساد المسلمين مُثخَنَةً بالجراح. ولما وصلوا إلى مرج الروم كان القائد شنس الرومي قد وصلها أيضا، ونزل بجنوده قريبا من توذر. وكان شنس إنما جاء لنصرة توذر ولحماية أهل حمص، فنزل بجنوده على طرف من ذلك المكان.

ولكن لما جن الليلُ سار توذر القائد الرومي الآخر من هناك متوجها إلى دمشق، وخلت تلك الجبهة بذهابه. كان خالد بن الوليد متصديا لتوذر وكان أبو عبيدة متصديا لشنس. وعندما بلغ خالد أن توذر سار نحو دمشق اتفق خالد وأبو عبيدة رضي الله عنهما على أن يخرج خالد وراء توذر. فسار خالد وراءه في كتيبة من الفرسان في الليلة نفسها. وبلغ يزيدَ بن أبي سفيان ما فعل توذر، فاستقبله فاقتتل الجندان. ولحقَ بهم خالد بجنوده أيضا وهم يقتتلون، فأخذ توذرَ وجنودَه مِن خلفهم، وحصدهم حصدا من أمامهم ومن خلفهم، ولم يفلت منهم إلا الشريد. وغنم المسلمون كل ما كان مع الأعداء من راحلة وسلاح ولباس وغيرها، فقسمه يزيد بن أبي سفيان في أصحابه وأصحاب خالد. ثم عاد يزيد إلى دمشق ورجع خالد إلى أبي عبيدة.

علمًا أن يزيد هذا هو غير يزيد ذي الشهرة السيئة في تاريخ الإسلام والذي كان ابنَ معاوية، أما يزيد هذا

**فصالحهم أبو عبيده بن الجراح ﷺ على خراج يؤدونه، وترك لهم كنيستهم، وبنى المسلمون بالقرب منها مسجدا. وبعد هذا الفتح منع سيدنا عمر ﷺ المسلمين من المزيد من التقدم في تلك السنة.**

فهو ابن أبي سفيان.

قتل خالد بن الوليد ﷺ توذرَ القائد الرومي. وكان أبو عبيدة بعد مسير خالد وراء توذر تصدى لشنسَ، فاقتتل الجندان بمرج الروم، فقتل المسلمون الرومَ مقتلةً عظيمة، وقتَلَ أبو عبيدة شنسَ. وامتلأ مرج الروم بجثث الروم حتى تعفن المكان. ولم يسلم من الروم إلا من لاذ بالفرار، وتبعهم المسلمون إلى حمص.

ثم سار أبو عبيدة بجيشه إلى حماة (وهي مدينة في الشام قديمة تقع إلى الشمال من حمص وشمال دمشق على مسافة خمسة أيام منها)، فتلقاه أهلها مذعنين. ولما سمع أهل شيزر[٤] بذلك تصالحوا أيضا مع المسلمين على ما صالح عليه أهل حماة ثم قام أبو عبيدة ﷺ بفتح السلمية التي تقع على بعد يومين من حماة.

## فتح اللاذقية

كان فتح اللاذقية في العام الرابع عشر الهجري. توجه الجيش الإسلامي إلى اللاذقية بقيادة أبي عبيدة ﷺ فلما رأى أهلها الجيش الإسلامي قادما تحصنوا بحصنها وأغلقوا أبواب المدينة واستعدوا للقتال. وكانوا يظنون أنهم قادرون على قتال المسلمين رغم حصارهم لهم، كما كانوا يتوقعون المدد من هرقل عبر البحر.

حاصر المسلمون المدينة الحصينة، وكانت شهيرة بنقط تفتيش هنا وهناك. كان أبو عبيدة ﷺ قائدا محنكا خبيرا بحيل القتال، فلجأ إلى حيلة بارعة لفتح المدينة، بعد أن أدرك أن فتحها ليس بالأمر الهين، وأنه لو ظل معسكرا ومحاصرا لها فسوف يطول الحصار كثيرا، وقد يصل المدد إلى العدو خلال هذه الفترة، فيضطر إلى العودة خائبا، أو سيستحيل عليه المسير إلى أنطاكيا إذا طال حصاره للمدينة. فحفر ذات ليلة حفرا كبيرة تستر الحفرة منها الفارس راكبا، وغطاها بالكلأ والحشيش، ثم تظاهر المسلمون أنهم عائدون وراحلون إلى حمص. فلما بدا لأهل المدينة فكَّ الحصارِ فرحوا واطمأنوا وفتحوا أبوابها. فلما جن عليهم الليل عاد أبو عبيدة ﷺ بجنوده واستتروا في تلك الحفائر التي كانت كالمغارات.

وفي الصباح عندما فتح الناس أبواب المدينة فلم يرُعْهم إلا والمسلمون قد استولوا على أبوابها. ففر الذين كانوا خارج الحصن ونجوا، أما الذين كانوا داخل المدينة فأخذهم الذعر وبدأ كل واحد منهم يبحث عن مخرج للنجاة، فلم يبق أمامهم إلا الإذعان والاستسلام. فتصالحوا، ومَن هرب منهم طلب الأمان أيضا، ودخل المسلمون المدينة وملكوها عنوةً.

فصالحهم أبو عبيده بن الجراح ﷺ على خراج يؤدونه، وترك لهم كنيستهم، وبنى المسلمون بالقرب منها مسجدا. وبعد هذا الفتح منع سيدنا عمر ﷺ المسلمين من المزيد من التقدم في تلك السنة.

**فتح قنسرين**

كان فتح مدينة قنسرين في العام الخامس عشر الهجري. أرسل أبو عبيدة خالدَ بن الوليد رضي الله عنهما إلى قنسرين (وهي مدينة مزدهرة بولاية حلب، ويقع حصنها بين الجبال في الطريق إلى حلب). فلما نزل خالد بن الوليد بجنوده «الحاضرَ» (وهو مكان بالقرب من حلب) زحف إليهم الروم وعليهم ميناسُ.

كان ميناس رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل، فواجه المسلمين أهلُها ومَن عندهم من نصارى العرب، وكان من تقاليد العرب أنهم أحيانًا كانوا لحراسة المدينة يخرجون منها ويخيمون خارجها، وهكذا كان هؤلاء النصارى العرب قد خيّموا خارج المدينة. لقد قضى خالد على جزءٍ كبيرٍ من جيش الروم بعد معركة دامية، وقتل أميرهم ميناس، وأما الأعراب فإنهم اعتذروا إليه وقالوا بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا، فقبل منهم خالد وكف عنهم، ثم خلص بعض الروم إلى قنسرين فتحصنوا فيها، فتبعهم خالد، ولكن لما وصل إلى قنسرين كان الروم قد أغلقوا أبواب المدينة، فأرسل إليهم خالد رسالة قائلا: إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا. لقد بقي هؤلاء متحصنين لعدة أيام ولكن في نهاية المطاف أيقن أهل قنسرين ألا منجى لهم، فطلبوا أن يصالحوهم على صلح حمص، فأبى خالد إلا على عقابهم لمخالفتهم أمره، فلم يرض إلا على تخريب المدينة فخربها. فترك أهل قنسرين أموالهم وعقارهم وسلموا أهلهم وعيالهم إلى ما قُدّر لهم وهربوا إلى أنطاكية. فلما بلغ أبو عبيدة بن الجراح قنسرين وجد قرار خالد بن الوليد موافقًا لمقتضيات العدل فهُدم حصن المدينة وجدرانه، ولكنه شعر بعد ذلك أن تتم معاملتهم بالرأفة والشفقة أيضا إضافة إلى العدل، أي قد تمت معاملتهم بالعدل أولا ولكن الآن ينبغي أن يعاملهم المسلمون بالشفقة أيضا، فأعطوا لأهل المدينة الأمان بحسب طلبهم، فتم توزيع البيوت فأعطي لهم نصفها وسلمت لهم كنيستهم وسيطر المسلمون على نصف البيوت.

**فلما بلغ أبو عبيدة بن الجراح قنسرين وجد قرار خالد بن الوليد موافقًا لمقتضيات العدل فهُدم حصن المدينة وجدرانه، ولكنه شعر بعد ذلك أن تتم معاملتهم بالرأفة والشفقة أيضا إضافة إلى العدل، أي قد تمت معاملتهم بالعدل أولا ولكن الآن ينبغي أن يعاملهم المسلمون بالشفقة أيضا، فأعطوا لأهل المدينة الأمان بحسب طلبهم، فتم توزيع البيوت فأعطي لهم نصفها وسلمت لهم كنيستهم وسيطر المسلمون على نصف البيوت.**

وفي رواية أن المسلمين أخذوا من المدينة قطعة أرض لبناء المسجد وتركوا البقية لهم. أما الذين كانوا قد هربوا إلى أنطاكية فقد رجعوا أيضا بعد قبولهم أداء الجزية. لقد عومل أهل هذه المنطقة بمعاملة حسنة كباقي المناطق المفتوحة، وأقيم العدل فيهم على أسس المساواة بحيث لم يكن لقوي أن يظلم ضعيفًا ويمارس عليه الجبر والإكراه.

## فتح قيسارية

تم فتح قيسارية في الخامس عشر للهجرة. وقيسارية مدينة ساحلية في الشام وهي تبعد عن طبرية مسافة ثلاثة أيام. هناك روايات متفرقة عن تاريخ فتحها، منها أنها حدثت في العام الـ ١٥ الهجري، وفي رواية أنها حدثت في عام الـ ١٦ الهجري، وفي رواية ثالثة أنها وقعت في ١٩ للهجرة وفي رواية رابعة أنها حدثت في ٢٠ للهجرة. على أية حال لما كان أبو عبيدة يتقدم فاتحًا المناطق في شمال الروم كان عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة يحاربان جيوش الروم المتجمعة في فلسطين وكانا يحاولان هزيمتها، ولكنه لم يكن أمرًا سهلا، لأن هذه الجيوش كانت قوية جدًّا لكثرة عددها وعتادها. وكان عليها قائدٌ رومانيٌ يدعى أرطبون وكان هذا أدهى الروم وأبعدهم غورًا وأنكاهم فعلاً، ففكر أن ينشر الجيوش في أماكن شتى ليبقى زمام الحكم في يده هو، وإن انتصر العرب على بعض جيوشه فلا تتأثر بها جيوشه الأخرى المنتشرة في أماكن مختلفة، فقد وضع بالرملة جندًا عظيمًا، وبإيلياء (أي القدس اليوم) جندًا عظيمًا، وترك لحمايته جيوشًا في غزة وسبسطية ونابلس واللد ويافا، ثم جلس ينتظر قدوم جيوش المسلمين، وكان على يقين أنه قادر على الانتصار على العرب وتفريق قواهم. لقد شعر عمرو بن العاص بحساسية الأمر وأدرك أنه إذا تصدى المسلمون لأرطبون بكل جيوشهم فستتوحد جيوش الروم وبالتالي لن يتمكن المسلمون من الانتصار عليهم، بل يمكن أن ينتصر عليهم الروم. فكتب إلى عمر فأمر يزيد بن أبي سفيان

أن يرسل أخاه معاوية لفتح قيسارية وذلك حتى لا يصل إلى أرطبون مدد عن طريق البحر. ثم كتب عمر إلى معاوية كما يلي:

أما بعد فإني قد وليتك قيسارية، فسِرْ إليها، واستنصر الله عليهم وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير.

أي أن القوة لتجنب الإثم ولكسب الحسنة هي لله تعالى فحسب، الذي هو العلي العظيم وهو ربنا وهو ثقتنا ورجاؤنا وهو مولانا، نعم المولى ونعم النصير.

ورد في مجلة «الفاروق»: لقد أغار على قيسارية عمرو بن العاص قبل هذا في ١٣ للهجرة وحاصرها لمدة من الزمن دون أن يفتحها.

وبعد وفاة أبي عبيدة بن الجراح ولّى عمر يزيد بن أبي سفيان مكانه وأمره بتولي مهمة قيسارية وأرسل معه جيشًا قوامه ١٧ ألف، فخرج يزيد وحاصر المدينة، فلما مرض في ١٨ الهجري عيّن أخاه معاوية قائمًا بالأعمال ورجع إلى دمشق حيث توفي.

وقيسارية بلد على ساحل بحر الشام تُعدُ في أعمال فلسطين، ولكنها أرض خربة اليوم مع أنها كانت مدينة عظيمة في ذلك العصر. يقول البلاذري كان فيها ثلاثمئة سوق وقتها وكان جيش رومي كبير يقوم بحراستها، وكان فيها حصنهم المتين والخطير. فلما بلغ معاوية قيسارية حاصرها. أخذ الروم يخرجون لمهاجمة الجيش الإسلامي ولكنهم سرعان ما كانوا يعودون منهزمين. فلما طالت المحاصرة خرجوا بنية القتل والفصل ولكنهم تلقّوا شر هزيمة إذ قتل ثمانين الف منهم في ميدان الحرب وبلغ عدد قتلاهم مائة ألف عند فرارهم بعد الهزيمة. بعد فتح قيسارية ودمار جيشها اطمأن المسلمون من ناحيتهم وبقوا في منأى عنهم، وهكذا انسدّت طريق إمداد الروم. أرسل معاوية الخُمس من الغنائم إلى عمر مع خبر فتح قيسارية.

وفي رواية جاء رجلٌ يهوديٌّ يُدعى يُوسُف إلى مُعسكر مُعاوية ودلَّهُ على نفقٍ يصلُ إلى بوَّابة القلعة داخل المدينة، فتسلَّلت مجموعة من المُقاتلين عبر ذلك النفق وفتحوا البوَّابة فدخل منها الجيش الإسلامي وتم الفتح.

كان عبادة بن الصامت صحابيًا بدريًّا وكان مشتركا في هذه المعركة، وتُذكر قصة شجاعته في وقعة قيسارية إذ كان على ميمنة جيش المسلمين في حصار قيسارية، فقام ﷺ بوعظ جنده ودعاهم إلى تفقد أنفسهم، والحيطة من المعاصي ثم قاد هجومًا قتل فيه كثيراً من الروم، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه، فعاد إلى موقعه الذي انطلق منه، فحرض أصحابه على القتال، وأبدى لهم استغرابه الشديد لعدم تحقيق أهداف ذلك الهجوم فقال: يا أهل الإسلام إني كنت من أحدث النقباء سنًّا وأبعدهم أجلاً وقد قضى الله أن أبقاني حتى قاتلت هذا العدو معكم.. والذي نفسي بيده ما حملت قط في جماعة من المؤمنين على جماعة من المشركين، إلا خلوا لنا الساحة (أي انتصرنا عليهم) وأعطانا الله عليهم الظفر، فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تزيلوهم؟ ثم بين لهم ما يخشاه منهم فقال: إني والله لخائف عليكم خصلتين، أن تكونوا قد غللتم،

أو لم تناصحوا الله في حملتكم عليهم، (أي ليس فيكم إخلاص حين هاجمتموهم) وحث أصحابه على طلب الشهادة بصدق، وأعلمهم أنه سيكون في مقدمتهم وأنه لن يعود إلى مكانه، إلا أن يفتح الله عليه أو يرزقه الشهادة. فلما تصادم الرومان والمسلمون قفز سيدنا عبادة بن الصامت من حصانه وصار راجلا، وحين رآه عمير بن سعد الأنصاري راجلا أشاع خبر قتال أمير الجيش راجلا، وقال إنه ينبغي أن يقتدي به الناس كلهم. كانت معركتهم مع الرومان شديدة، فهزموهم فهربوا وتحصنوا في المدينة، ففتح العرب غزة أيضا كما فتحوا قيسارية، وكان المسلمون في العهد الصديقي أيضا قد فتحوا غزة إلا أنهم أُخرجوا من هناك لاحقا، فلما صارت هاتان المنطقتان الحدوديتان تحت سلطة المسلمين اطمأن حضرة عمرو بن العاص من ناحية البحر.

بيان هذه الأحداث سيستمر مستقبلا.

**الهوامش:**

١. البقاع: أو سهل البقاع منطقة مترامية الأطراف بين دمشق وبعلبك، وهي الآن تغطي مساحة واسعة من القطر اللبناني.

٢. فحل: وتعرف أيضا بطبقة فحل.. إحدى مدن الأردن وتقع في شمال الغرب منه قرب مدينة إربد.

٣. بيسان: تقع على بُعد ١٨ ميلا جنوبي طبرية

٤. شيزر: بلدة سورية، تقع على بعد نصف يوم من حماة

الحُكم نتيجة الحِكمة والعلم نتيجة المعرفة

مَن لا حِكمة له لا حُكم له، ومن لا معرفة له لا علم له.

كل بقاء يكون بعده فناء لا يعوّل عليه، كل فناء لا يعطي بقاء لا يعوّل عليه.

لن تبلغ من الدين شيئا حتى توقر جميع الخلائق.

لا راحة لك من الخلق فارجع إلى الحق فهو أولى بك.

الحر من ملك الأمور بأزمتها ولم تملكه، وصرفها ولم تصرفه.

أوصيك لا تحتقر أحدا ولا شيئا من خلق الله فإن الله ما احتقره حين خلقه.

(الشيخ محيي الدين بن عربي)

# ضرب الأمثال في القرآن الكريم

(المملكة المتحدة)

**أديب بت**

**عندما** نمعن النظر في كلام الله جل وعلا نرى أنه يتميز بتنوع أساليبه وتراكيبه مع دقة التعبير وإيجاز الكلام. ونستكشف خلال إمعاننا أسلوبا بارزا وهو ضرب المثل، وقد توصَّل اللغويون والبلاغيون إلى ما لهذا الأسلوب من المزايا والفوائد. والغاية التي من أجلها ضُربت الأمثال في سياق النص القرآني هي كما ورد في نص القرآن نفسه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. فحقيقة الأمر من سنة الله تعالى أنه إذا أراد أن يبين أمرا قد يلتبس معناه على الناس لقلة الفهم وحدود قوى العقل فلأجل ذلك يعزز الله قوله بضرب المثل إذ يتضح المعنى وضوحا تامًّا، وتقرب صورة المعنى في أذهان المستمعين والقراء، لكيلا يتعلل الناس ولا يشكوا من قلة فهمهم. فضلا عن ذلك نرى كيف أن هذا الأسلوب لم ينفرد به كلام الله فقط، بل انتقل وترسخ استعماله في كلام من آتاهم الله الفصاحة والبلاغة من أنبيائه المكرمين، وهم أنبياء الله الذين تكلموا بالأمثال، وكان أفصحهم قلبا ولسانا سيدنا محمد ﷺ الذي أُثرِت العديد من الأمثال في كلامه المبارك، ومنها قوله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

### معنى ضرب الأمثال.. لماذا الضرب؟!

قبل الخوض في مزايا الأمثال وخصائها كفن من فنون القول، نُفرد فقرات قليلة للحديث عن تفاصيل المصطلح، أي «ضرب

**وقف القدامى والمحدثون على حد سواء من الأمثال موقف التعظيم والاستحسان، لما ألفَوه من فوائد بلاغية وتعليمية، فالمثل يختزل قصة طويلة متشعبة الأحداث في كلمات قليلة موجزة، فيسهل تناقلها عبر الزمان والمكان والاستفادة بما فيها من عظات وعبر.. كذلك يجتمع في المثل أربع مزايا لا تجتمع في غيره من فنون القول الأخرى، وهي: ايجاز اللفظ، وإصابة المعنى بأقصر الطرق، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو، أي المثل، منتهى البلاغة.**

الأمثال»، فنتساءل: لماذا نقول «ضرب الأمثال» ولا نقول مثلا: «ذِكر الأمثال»؟! الواقع أن تعبير «الضرب» بحد ذاته يمنح المصطلح سيرورته، أي عمله المستمر، ففي معجم مقاييس اللغة يُورد اللغوي الفذُّ أحمد بن زكريا بن فارس للضرب معاني عدة وأبوابًا مختلفة لها أصل واحد، فيقول: الضَّادُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُحْمَلُ عَلَيْهِ [...] والضَّرِيبُ: الْمِثْلُ، كَأَنَّهُمَا ضُرِبَا ضَرْبًا وَاحِدًا وَصِيغَا صِيَاغَةً وَاحِدَةً [...] وَيُقَالُ لِلصِّنْفِ مِنَ الشَّيْءِ: الضَّرْبُ، كَأَنَّهُ ضُرِبَ عَلَى مِثَالِ مَا سِوَاهُ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ»[٣]. الشاهد من إيراد هذه المقتطفات اللغوية أن نُسبت للضرب معنى التكرار والاستمرار على مثال ما.

ولم ينءَ علماء المصطلح عن هذا المعنى اللغوي للضرب، فأشاروا بالتصريح والتلميح إلى معنى التكرار، فقيل: «الضرب في العروض: آخر جزء من المصراع الثاني من البيت. الضرب: في العدد تضعيف أحد العددين بالعدد الآخر»[٤]. وقولنا مثلا: ضرب العملة، يعني طباعة العديد من النسخ المتشابهة والمتكررة على نموذج واحد. فها هو إذن معنى «التكرار» يبدو حاضرا بقوة هنا أيضا.

واقتناصا للحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم، يحدثنا المصلح الموعود ﷺ في سياق تفسير سورة البقرة، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾[٥]، فيقول حضرته: "لما كان نعيم الجنة أسمى من نعيم الدنيا في طبيعته ودرجته ومقداره.. فإن هذا لا يقاس بذلك أبدا إلا على وجه التمثيل وتقريب المعنى. ولقد صرح القرآن الكريم بأن نعيم الجنة هو النعيم الحق، وأن حياة الجنة هي الحياة الروحانية الأسمى، وأن متع الدنيا ما هي إلا قطرة من بحر متع الجنة. وتتضمن هذه الآية إزالة أية شبهة، والإجابة على أي اعتراض بسبب هذا الفارق الشاسع بين حقيقة الجنة وما يساق لها من وصف. وتقول الآية إن أسلوب التمثيل مفيد في تقريب الحقائق من الأفهام، وليس في استخدامه ما يدعو للاستنكار."[٦]

### وهل يتكرر المثل؟!

لكل مثل مورد ومضرب. فما المَورد؟ وما المضرب؟ المقصود بمَورد المثل المناسبة التي قيل فيها المثل أول مرة. والمقصود بمَضرب المثل الموقف الجديد الذي يشبه تلك المناسبة التي قيل فيها المثل في أول مرة، بحيث يكون ذلك الموقف كافيا لتسترجع الذاكرةُ المناسبةَ الأولى التي قيل فيها المثل أول مرة (أي حين لم تكن قد صارت مثلا بعد)، ويجب أن يقال المثل بلفظه، فعبارة المثل تكون ثابتة لا تُغيّر. إن هذا التكرار في المناسبة والمقولة يُتيح لمستمع المثل فرصة التعلُّم، فمن فطرة الإنسان أنه يكتسب الخبرة من خلال مروره بنفس الموقف أكثر من مرة. لهذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٧].

**أقوال في فوائد ضرب الأمثال**

وقف القدامى والمحدثون على حد سواء من الأمثال موقف التعظيم والاستحسان، لما ألفَوه من فوائد بلاغية وتعليمية، فالمثل يختزل قصة طويلة متشعبة الأحداث في كلمات قليلة موجزة، فيسهل تناقلها عبر الزمان والمكان والاستفادة بما فيها من عظات وعبر.. كذلك يجتمع في المثل أربع مزايا لا تجتمع في غيره من فنون القول الأخرى، وهي: ايجاز اللفظ، وإصابة المعنى بأقصر الطرق، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو، أي المثل، منتهى البلاغة.

وهناك مقولة وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ لعبد الله بن المقفع يحدثنا فيها عن مزايا الأمثال: «إذا جُعِل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث (أي فروعه)»[٨].

ويتناول عدد من المُحدَثين موضوع الأمثال، ومنهم من أعاد دراسة أمهات كُتُب الأمثال العربية، ككتاب «مجمع الأمثال» ذائع الصيت، والذي صنَّفه أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، والمعروف بـ «الميداني»، فمن التعليقات الحديثة على والتي تُقر بدور الأمثال في اللغة والأدب ما جاء فيها من أنَّ «الحكم والأمثال مرآة تعكس طبيعة الشعوب، مختصرة بكلمات قليلة قصصا طويلة، أو تعبيرا عن موقف، أو وصفا لحالة، هي تشمل ميادين الحياة كافة.»[٩]

ويقول المبرد صاحب الكتاب الرائد في فن الأدب «الكامل في اللغة والأدب»: «المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول. والأول فيه التشبيه»[١٠].

**من بدائع ضرب الأمثال في القرآن**

وفي القرآن الكريم كانت للأمثال فائدة عظيمة، وبلاغة جليلة، قال الله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١١]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[١٢]. فضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه عدة أمور، منها: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل، كنسبة المحسوس إلى الحس. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر، وإبطال آخر، وما إلى ذلك من الأهداف والغايات.

وتشبيهات القرآن جميعها أمثال مضروبة لفهم مراد الله عز وجلّ بخطابه لعباده، كما قال: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.[١٣]

ومن بديع أسلوب القرآن في ضرب المثل: أن يسوق الجُمَلَ مستعملاً إياها في معانيها الحقيقية، قاصداً بها غرضاً خاصاً؛ كالاحتجاج على بعض العقائد، وبعد أن يفيد بها هذا الغرض، يعود إلى جعلها مثلاً يرمي إلى غرض من الأغراض التي تُضرب لها الأمثال. ولنقرأ على سبيل المثال قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[١٤] ؛ فقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ... (إلى قوله تعالى) : ... زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ ظاهر في معنى تقرير حجة على كمال قدرته تعالى، وبعد أن أقام به حجة على المشركين، جعل هذا القول نفسَه مثلًا يستبين به الحق والباطل، فقال

تعالى: كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ والباطِلَ، وهذا من الإيجاز الذي بلغ به القرآن أعلى مستويات البلاغة.

**أقسام أمثال القرآن الكريم**

ترد أمثال القرآن على أقسام: عدة، القسم الأوّل: أمثال يصرّح فيها بلفظ المثل، أو ما يدلّ على التّشبيه وتسمّى «الأمثال المصرّحة». فمثال التّصريح بلفظ المثل قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدا رابِيا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ﴾ [١٥].

ومثال التّصريح بالتّشبيه، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا...﴾ [١٦].

أم القسم الثّاني: فأمثال لا يصرّح فيها بلفظ التّمثيل، ولكنّها تدلّ على معان تمثيليّة بإيجاز، ونسميها بـ «الأمثال الكامنة»، كقوله تعالى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فكرهتموه﴾ [١٧]

والقسم الثّالث من أمثال القرآن يشير به البعض إلى القصص القرآني، وذلك باعتبار أن الله عز وجلّ قصّ علينا من أنباء الأوّلين ما جعله أعظم مثل للاعتبار والقياس، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٨]

فهذا المثل هو قصّة آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وبني إسرائيل، وغير ذلك، فالمخاطبون بهذا القرآن هم الممثَّل لهم، وأصحاب تلك القصص هم الممثّل بهم، والمَثَلُ هنا هو شأنهم، وما كانوا عليه، وما صاروا إليه.

وهذا المثل قضيّة قياسيّة، أصلها تلك الأمم الخالية، وفرعها هذه الأمّة ومن بلغه هذا القرآن، والمعنى الجامع لإلحاق الفرع بالأصل: إمّا استقامة تلحق بمن أنعم الله عليهم، وإمّا انحراف يلحق بمصير المغضوب عليهم والضّالّين.[١٩]

فالحاصل أن أمثال القرآن، هي لون من طرائقه البديعة، وأدبه البالغ في إيصال المعاني في أقرب صورة، وألطفها، وأبلغها دلالة على المراد.

**الهوامش:**

١. (الحشر: ٢٢)

٢. رواه الشيخان

٣. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحت مادة " ض ر ب"

٤. الشريف الجرجاني، التعريفات، تحت مادة " ض ر ب"

٥. (البقرة: ٢٧)

٦. مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، الترجمة العربية، ج١، ص١٤٣، الشركة الإسلامية المحدودة، لندن. د.ت.

٧. (إبراهيم: ٢٦)

٨. عبد الله بن المقفع، الأدب الصغير

٩. الميداني، مجمع الأمثال، مقدمة المحقق نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٢١م.

١٠. أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب

١١. (النور: ٣٦)

١٢. (العنكبوت: ٤٤)

١٣. (إبراهيم: ٢٦)

١٤. (الرعد: ١٨، ١٩)

١٥. (الرّعد: ١٨)

١٦. (النّور: ٤١)

١٧. (الحجرات: ١٤)

١٨. (النّور: ٣٥)

١٩. راجع: عبد الله بن يوسف الجديع العنزي، كتاب المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٣٩٤ – ٣٩٧، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، ٢٠٠١م.

# تشريع الطلاق.. سم أم ترياق؟!

ريم إبراهيم
(المملكة المتحدة)

من عظمة تشريع القرآن أنه صيدلية حَوَتْ دواءً شافيًا لكل داء محتمل، ومن أدويتها ما قد يتوهمه البعض من غير المتفرسين سمًّا، وهو في حقيقة الأمر ترياق، فقط إذا استُعمل في محله ووفق مقتضى الحال. من تلك الأدوية الفعَّالة والمثيرة للجدل إلى الآن تشريع الطلاق، والذي ينظر إليه غير المسلمين، وبعض من المسلمين قليلي الإحاطة بمقاصد الشريعة، بوصفه توجهًا غير محمود، والعياذ بالله، يضر بالعلاقات الإنسانية، وذلك انطلاقا من فهم مشوه لمقولة وردت في إنجيل متى جاء فيها: «إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ.»[1]

**الطلاق وسوء استغلال الشريعة**

لا شك أن بتر واستئصال أي عضو من أعضاء الجسد أمر مكروه لدى الجميع دون استثناء، ولكن حتى هذا المكروه قد يكون هو السبيل الوحيد والأخير للنجاة، وإلا فسدت بنية الجسد وهلك المريض، فهنا يكون آخر العلاج البتر! فإذا كنا نقبل بطيب خاطر، أو على سبيل الاضطرار، هذا الأمر على مستوى الصحة الجسدية، فلماذا نرفضه حين يتعلق الأمر بالصحة الاجتماعية؟!

لقد تحوّلت قضايا الطلاق في عصرنا، مع بالغ الأسف، في كثير من الأحيان إلى ساحة صراع طويل، تُستَخدم فيها القوانين بل وحتى الأبناء كوسائل ضغط متبادلة. يسعى

**«إنّ الله ورسوله قد جعلا الطلاق أبغض الحلال، ولم يُبح إلا في أضيق حدود الضرورة. وكما أنّ الله تعالى - وهو الرب - قد تكفّل برزق الحيّات والعقارب، فكذلك قد شرّع الطلاق لأولئك الذين بلغ فساد أحوالهم مبلغاً لا يُطاق، ولا يستطيعون الصبر على الفتن والابتلاءات التي قد تنشأ إن لم يُشرّع الطلاق.“**

كل طرف إلى النيل من سمعة الآخر، ناسياً أن الطرفين المطلَّقين كان كل منهما في يوم من الأيام «لباساً» للآخر، يستر عيوبه ويوفّر له السكينة والحماية. إن النزاعات لا تقف عند حدود الزوجين فحسب، بل تمتد أحياناً لتشمل الأسرتين، فتقطع الأرحام وتعكر الوفاق وتزرع الشقاق بلا رحمة. وكل ذلك يتناقض تناقضاً صارخاً مع هدي القرآن الكريم وتعاليم الإسلام السامية، التي لم تُجز الطلاق إلا بعد استنفاد جميع وسائل الإصلاح الممكنة. وقد وصف النبي الأكرم ﷺ الطلاق بقوله: ”أبغض الحلال إلى الله الطلاق“ [٢] والمقصود أن الطلاق وإن كان مباحاً، إلا أنّه لا يُلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى وبعد اليأس من سبل الوفاق، من باب أن آخر العلاج البتر كما أسلفنا. وقال المسيح الموعود عليه السلام: «إنّ الله ورسوله قد جعلا الطلاق أبغض الحلال، ولم يُبح إلا في أضيق حدود الضرورة. وكما أنّ الله تعالى — وهو الرب — قد تكفّل برزق الحيّات والعقارب، فكذلك قد شرّع الطلاق لأولئك الذين بلغ فساد أحوالهم مبلغاً لا يُطاق، ولا يستطيعون الصبر على الفتن والابتلاءات التي قد تنشأ إن لم يُشرّع الطلاق.“[٣] وقال عليه السلام أيضاً: «وقد تطرأ أحياناً ظروف تجعل الطلاق لا مفرّ منه. ومن هنا شرع الإسلام — الذي أحاط بجميع جوانب الحياة — نظام الطلاق، مع التصريح في الوقت نفسه بأنه أمر مكروه.» [٤]

### مساران لا ثالث لهما، حسن وأحسن

ترمي أوامر الشريعة كلها إلى غاية أن تكون حياة الإنسان جنة صغرى في هذا العالم، ومن بين تلك الأوامر يبرز الأمر بحسن المعاملة واجتناب إيقاع الضرر بأحد الطرفين من قِبل الآخر، حال الزواج أو الطلاق على حد سواء، فحتى الطلاق، إن كان لا محالة واقعًا، ينبغي أن يتم بروح المودّة والاحترام، مع صيانة ما كان من خير في العلاقة، كما قال الله تعالى: ﴿...وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥]. وهذه التوجيهات الإلهية كفيلة بضمان الاستقرار الاجتماعي، وحفظ الاحترام المتبادل، والسماح بإنهاء العلاقة الزوجية دون عداوة. إنّ هذه الآية العظيمة تُلخّص مبدأً جوهرياً من مبادئ الشريعة الإسلامية في معالجة النزاعات الزوجية حين تستحيل الحياة المشتركة.

### زواجٌ حسنٌ أو طلاقٌ حسن

كما سبق وعرفنا أن الغاية المبتغاة من الشريعة جعل حياة الإنسان جنة في هذه الدنيا في كل الأحوال، فالزواج في الإسلام يقوم على الإحسان، وإذا وقع الطلاق وجب أن يتم

أيضاً في إطار المعاملة الحسنة. وهذا التوازن يعكس عظمة الشريعة الإسلامية التي لا تقتصر على الحقوق القانونية، بل تراعي كذلك كرامة الإنسان وسلامته النفسية.

فالشريعة تعلّمنا أنّ الزواج لا يُبنى على القهر والضرر، بل على المودّة والرحمة. فإن تعذّر ذلك، وجب أن يكون الانفصال بكرامة وعدل وإحسان، مع إعطاء كل ذي حق حقه، واجتناب الظلم والعدوان، يقول تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[٦]، عبارة «تسريح بإحسان» ليس مجرد حكم فقهي يتعلق بالطلاق، بل هي قاعدة أخلاقية شاملة ترشدنا إلى كيفية التعامل مع الخلافات، بأن نُتيح للآخرين خيار مغادرة حياتنا بنفس الكرامة التي دخلوها بها. إن الإسلام يعلّم المؤمن أن يكون محسناً في كلتا الحالين، حال الصلة وحال الفراق. ويعني الطلاق بإحسان جملة من المبادئ، من أبرزها:

- أداء الحقوق المتبادلة.
- اجتناب أي صورة من صور الإيذاء اللفظي أو الجسدي بعد الطلاق.
- صيانة السمعة وعدم التشهير.
- تهيئة بيئة يسودها الاحترام المتبادل لأجل الأبناء.

**مسألة مُقام المطلقة**

من حِكَمِ التشريع أنّ الله تعالى أمر بأن تمكث المطلقة الرجعية في بيت زوجها أثناء عدتها، وأن يظل الزوج ينفق عليها خلال هذه الفترة، مهما كانت غنية أو ذات مال. والحكمة من ذلك أنّ المعيشة المشتركة قد تُعيد المودّة وتفضي إلى الرجوع قبل انقضاء العدة، فتُستأنف الحياة الزوجية من جديد دون حاجة لعقد جديد. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ...﴾[٧]. وقد أوضح الخليفة الثاني ﷺ في التفسير الميسر أنّ هذه الإجراءات إنما شُرعت حتى لا يكون الطلاق نتيجة انفعال عابر أو قرار متسرع، بل قرار ناتج عن تفكير رزين. كما أنّ بقاء المطلقة في بيت الزوجية يفتح باب الإصلاح وعودة المودة.[٨] أما الطلاق البائن بعد المرة الثالثة، فإن الزوجة تحرم على زوجها، ولا حق لها في السكنى أو النفقة إلا إذا كانت حاملاً أو مرضعاً، فيجب على الزوج النفقة حتى نهاية الحمل أو الرضاعة. قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ...[٩]

**مسؤوليات لا تزال قائمة حتى بعد الطلاق**

ليس معنى وقوع الطلاق تحررًا وتحللًا كاملا من كافة المسؤوليات التي كان يتحملها الزوج حال قيام الحياة

**فالشريعة تعلّمنا أنّ الزواج لا يُبنى على القهر والضرر، بل على المودّة والرحمة. فإن تعذّر ذلك، وجب أن يكون الانفصال بكرامة وعدل وإحسان، مع إعطاء كل ذي حق حقه، واجتناب الظلم والعدوان ، يقول تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾**

الزوجية، بل إن بعد الطلاق تبقى كثير من المسؤوليات قائمة، وينبغي على الزوج المطلق أداؤها على أحسن وجه ممكن، من تلك المسؤوليات النفقة اللازمة لاستمرار حياة ثمرة تجربة الزواج، ألا وهم الأولاد، والذين لا ذنب لهم سوى أنهم ولدوا لأبوين استحالت بينهما العشرة في نهاية المطاف. فعلى أية حال، أوجب الإسلام النفقة للأطفال على والدهم سواء حال قيام الزواج أو حتى بعد وقوع الطلاق.

ولا يُتصوَّر القيام بواجب النفقة إلا بالإنفاق على الأم بالضرورة، ،حتى ولو كانت من أولات الغنى واليسار. أما المطلقة البائن غير الحامل أو المرضع، فلا نفقة لها ولا سكنى، كما ثبت في حديث فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها). (وتُقدَّر النفقة بحسب حال الزوج: غِنىً أو فقراً أو توسطاً. فإن تراضى الأبوان على قدر معين كان ذلك مقبولاً، وإلا فالقضاء هو الفيصل. قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ...﴾[١٠]. وقد نبّه القرطبي رحمه الله إلى أنّ الأم أحقّ بحضانة ولدها من غيرها، لما فطرها الله عليه من الشفقة والحنان، وأن نزع الطفل منها إضرار بهما معاً. وقال المسيح الموعود عليه السلام:»أكثروا الدعاء لأزواجكم، واجتنبوا الطلاق، فإنّ المكثر منه سيّئ ومبغوض عند الله جلّ وعلا. ولا تكسروا سريعاً، كإناء نجس قذر، ما قد جمعه الله بينكم.»[١١]

إن هذه التوجيهات السامية تذكّرنا بأن الزواج رباط مقدّس لا يجوز نقضه بطيش أو عجل، وإنما بعد استنفاد جميع سبل الإصلاح. فإذا كان الانفصال لا مفر منه، وجب أن يتم في إطار الكرامة والعدل والاحترام المتبادل، مع إبقاء الدعاء للآخر، وصيانة ما كان من مودة ورحمة. وبهذا يتحقق جوهر التعاليم الإسلامية التي تجمع بين حفظ الحقوق ورعاية القيم الإنسانية.

**الهوامش:**

١. (إنجيل متى ١٩: ٦)
٢. رواه ابن ماجه، كتاب الطلاق
٣. البدر، المجلد ٦، العدد ٣، ١٧ يناير ١٩٠٧، ص ٤
٤. البدر، المجلد ٦، العدد ٣٨، ١٩ سبتمبر ١٩٠٧، ص ٧
٥. (البقرة: ٢٣٨)
٦. (البقرة: ٢٣٠)
٧. (الطلاق: ٢)
٨. Mirza Bashir-ud-Din Mahmud Ahmad, The Holy Quran with English Translation and Commentary, Vol 5, Page: 3171, Islam International Publications Limited, London, 2018.
9. (الطلاق: ٧)
١٠. (الطلاق: ٨)
١١. مرزا غلام أحمد القادياني، التحفة الغولروية، روحاني خزائن، ج ١٧، ص ٧٥

# براءة المسلمين من تهمة إحراق مكتبة الإسكندرية

الأردن

د. منى محمد

**يحفل** تاريخ الفتح الإسلامي لمصر بالكثير من الأحداث والتطورات التي اختلف حولها المؤرخون، وكان من بين هذه القضايا التي حاول بعضهم استغلالها لاتهام المسلمين بالهمجية والعنف، هي الزعم بأن العرب هم من أحرقوا مكتبة الإسكندرية وقضوا على مؤلفاتها التي لا تقدر بثمن.

## سرد أدلة الاتهام

أول من وجه هذا الاتهام ونسب الحريق إلى عمرو بن العاص، هو المؤرخ والرحالة عبد اللطيف البغدادي الذي زار مصر في عام ٥٩٥ هـ، حيث أورد الحديث عن حرق المكتبة بشكل عرضي في كتابه «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهَدة والحوادث المعايَنة بأرض مصر»، فبالرجوع إلى نص الكتاب، يذكر البغدادي القصة بشكل عرضي خلال وصفه لمدينة الإسكندرية وعمود السواري، حيث يقول في الفصل الرابع من كتابه: «وأرى أنه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشِيعته من بَعده، وأنه دارُ العلم التي بناها الإسكندر، حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضي الله عنه»[١]

وقد ذكر الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى عام ٦٤٦هـ) في كتابه أخبار الحكماء نفس القصة التي ذكرها ابن النديم بعد أن أضاف إليها أن عمراً بن العاص لما سمع من ألفاظه الفلسفية وحججه المنطقية التي لم يكن للعرب بها أنسة لازمه وكان لا يكاد يفارقه، وأنه نظراً لهذه الدالة التي كانت ليحيى على عمرو طلب منه ذات يوم تسلم بعض ما في خزائن الإسكندرية من كتب لينتفع بها. ولما كتب عمرو إلى الخليفة يستأذنه أمره الخليفة بإحراق ما في الإسكندرية من كتب.[٢]

ومما يُقال أن المؤرخ ابن العبري (المتوفى سنة ٦٨٥هـ) في إحدى طبعات كتابه «مختصر تاريخ الدول» والمنشورة في أوكسانيا عام ١٦٦٣م ذكر أن ابن العاص بعدما تلقى رد الخليفة، قام

**إنَّ المؤرخ الذي يغرق بين الكتب فاحصاً مفكراً باحثاً عن الحقيقة، ويمعن إمعاناً دقيقاً بالنصوص التي يقرؤها، ويتفكر ويتدبر ما بين السطور لن يقف عند أدلة الاتهام السالفة التي لا تخرج عن قيل ويقال وما شاكل ذلك، بل سيتبين له أنه العديد من الأدلة، التي تكشف بطلان هذا الاتهام، وتؤكد براءة المسلمين من حرق المكتبة، التي كانت أهم منبر علمي وحضاري في العالم القديم برمته، ويقصدها العلماء والمفكرون من مختلف بقاع الأرض، وهي الأدلة التي نستعرضها في السطور التالية:**

بتفريق الكتب على حمامات الإسكندرية البالغة أربعة آلاف حمام، وأحرقها في مواقدها، وظلت مشتعلة فيها قرابة ستة أشهر متواصلة![٣]، بيد أننا بالاطلاع على طبعات أخرى من كتاب ابن العبري لا نجد للقول السالف أثرا[٤]. كذلك فإن العديد من المؤرخين والمستشرقين المعاصرين يرفضون هذه الرواية ويعتبرونها أسطورة أو خرافة لا أساس لها من الصحة.

**عرض أدلة البراءة**

إنَّ المؤرخ الذي يغرق بين الكتب فاحصاً مفكراً باحثاً عن الحقيقة، ويمعن إمعاناً دقيقاً بالنصوص التي يقرؤها، ويتفكر ويتدبر ما بين السطور لن يقف عند أدلة الاتهام السالفة التي لا تخرج عن قيل ويقال وما شاكل ذلك، بل سيتبين له أنه العديد من الأدلة، التي تكشف بطلان هذا الاتهام، وتؤكد براءة المسلمين من حرق المكتبة، التي كانت أهم منبر علمي وحضاري في العالم القديم برمته، ويقصدها العلماء والمفكرون من مختلف بقاع الأرض، وهي الأدلة التي نستعرضها في السطور التالية:

أول أدلة براءة المسلمين من تهمة حرق مكتبة الإسكندرية هو دليل توثيقي، حيث إن هذا الاتهام لم يظهر إلا بعد الفتح بأكثر من ستة قرون، ولم يذكر المؤرخون المعاصرون أو القريبون من زمن الفتح هذا الأمر، ويستوي في ذلك المسلمون وغير المسلمين.

وكان أول من ذكر واقعة الحرق، كما أسلفنا، هو عبد اللطيف البغدادي، الذي عاش بين القرنين السادس والسابع الهجريين، كما أن كتابه كما يظهر من عنوانه، كتاب رحلات ومشاهدات، وليس كتابا متخصصا في التاريخ والأخبار، وبالتالي لا يعتد به في المسائل التاريخية، ناهيك عن الشائكة منها.

وإذا قلنا بأن امتناع المؤرخين المسلمين الذين عاصروا الفتح عن ذكر هذه الحادثة له ما يبرره، وهو أن ذكرها مما يسيء إلى تاريخهم، فما الذي منع المؤرخين المسيحيين من ذكرها إذن؟! وقد كان منهم من هو شديد التعصب ضد المسلمين مثل «يوحنا النقيوسي» الذي كان واحدا من أكثر المؤرخين قربا من زمن الفتح وأحداثه، وقد أفاض في الحديث عن الإسكندرية ولم يتحدث عن مكتبتها أبدا.

إضافة إلى ما تقدَّم فقد زعم من اتهم المسلمين بحرق مكتبة الإسكندرية، أن المسلمين اعتادوا حرق الكتب عند فتحهم للبلدان، واستندوا في ذلك إلى رواية أوردها المؤرخ العثماني حاجي خليفة (توفي ١٠٦٧هـ) قال فيها بأن المسلمين لما

افتتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنفيلها للمسلمين فكتب إليه عمر ﷺ أن اطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هُدًى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه وإن يكن ضلالا، فقد كفانا الله تعالى، فطرحوها في الماء أو في النار[٥].. وهذه الرواية المكذوبة لم يذكرها إلا حاجي خليفة، وهو مؤرخ متأخر كثيرا عن زمن الفتح، فلا يؤخذ بكلامه، ولا يعول عليه في المسائل التاريخية المتقدمة، لأنه توفي بعد فتح المسلمين لبلاد فارس بما يزيد على ألف عام، ولو أن المسلمين أحرقوا هذه الكتب لذكر ذلك الرواة والمؤرخون المعاصرون لزمن الفتح.

**نقد رواية ابن العبري**

بالعودة إلى رواية ابن العبري وإيلاؤها مزيدا من التأمل، سنجدها أشبه بالخرافة، فقد ذكر فيها أن كتب المكتبة وزعت على أربعة آلاف حمام، وأنها ظلت تستخدم وقودا لتسخين المياه لمدة ستة أشهر، وهذا غير معقول، فالمخطوطات التي ادّعي أنها أحرقت تبلغ ٧٠٠ ألف كتاب، ولو وزّعنا هذا العدد على عدد الحمامات، لبلغ نصيب كل حمام ١٧٥ كتابا، وهذا العدد لا يكفي لإيقاد حمام عدة أيام لا ستة أشهر كاملة، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن كثيرا من الكتب كانت مكتوبة على الجلد وهو لا يصلح للوقود أصلا.

ولو أن عمرُو بن العاص قصد تدمير المكتبة، لأحرقها في الحال وفي مكانها، ولم يتكلف مشقة نقلها، ثم إن نقلها إلى الحمامات يجعلها تحت رحمة أصحاب الحمامات لمدة ستة أشهر، وهذه المدة كافية لمن يريد الحصول على شيء منها، وخاصة يوحنا النحوي، أن يأخذ منها ما يشاء بمقابل أو بدون مقابل، ثم كيف يأبى عمرو أن يعطي هذه الكتب صديقه يوحنا النحوي ثم يعطيها لأصحاب الحمامات في المدينة؟!

غاية ما يمكن قوله أن المكتبة لم يكن لها وجود في زمن الفتح الإسلامي..

**حقيقة الأمر.. من المتهم الحقيقي؟!**

هناك أقوال لمؤرخين مبكرين توثق الحادثة، منها أن الكتب التي حوتها المكتبة أتلفتها النيران، ربما عرضا ودون قصد، في عام ٤٨ ق.م، عندما هاجم يوليوس قيصر الإسكندرية. فقد روى المؤرخ «إليانوس مارسيلينوس» أن مكتبة الإسكندرية قد أصابها التلف التام عندما حاصر يوليوس قيصر المدينة، وتصدى له المصريون، فأعطى أوامره بإحراق جانب كبير من سفن أسطوله خشية أن يقع في أيدي المصريين، إلا أن الرياح جعلت النيران تمتد إلى قلب مدينة الإسكندرية، فالتهمت جزءا كبيرا من مكتبتها. وتفصيل ذلك أن حريق أسطول يوليوس قيصر (٤٧ق. م) التهم الكثير من كتب المكتبة حيث بلغ عددها حوالي ٤٠٠ ألف لفافة موجودة بالمخازن والذي يعتبر أول تخريب غير مقصود للمكتبة، وحاول يوليوس قيصر تعويض هذه الخسارة بإهداء الملكة كليوباترا ٢٠٠ ألف مخطوطة من مكتبة برغامس سنة (٤١ق. م). فانتعشت المكتبة جزئيًا مرة أخرى.[٦]

ثم زاد من خراب المكتبة وقضى على البقية الباقية منها قبل الفتح الإسلامي للإسكندرية، العداء الذي نشب بين المسيحيين وأتباع الديانة المصرية القديمة في تلك المدينة سنة ٣٩١م، إذ أشعل المسيحيون في ذلك الوقت موجة مناهضة لما دعوه بالوثنية، أُحرقت خلالها كمية كبيرة من كتب مكتبة الإسكندرية باعتبارها من مخلفات الوثنية حسب زعم المسيحيين.[٧]

إضافة إلى ما سبق فقد أثبتت أبحاثٌ قامَ بها عدد من المؤرخين ومن بينهم «بتلر» صاحب كتاب «فتح العرب لمصر» أن يوحنا النحوي الذي نسب إليه ابن العبري أنه التقى بعمرو بن العاص وكلمه في شأن الكتب، مات قبل الفتح الإسلامي

**لا شكَّ أنَّ المقصود بهذه التهمة هو تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والإساءة إلى عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهما لما اشتُهرا بتقواهما وورعهما وحكمتهما في إدارة شؤون الرعية، فقد منع عمرو بن العاص رضي الله عنه ( أعوانه اليعاقبة أن ينتقموا من خصومهم الملكانيين، وخالف ما جرت عليه عادة الفاتحين من أقدم الأزمنة فأعلن حرية العبادة لجميع أهل المدينة**

لمصر بثلاثين أو أربعين سنة، وهذا كاف لهدم رواية ابن العبري من أساسها.

**فرضية جائزة**

إذا فرضنا جدلا أن هذه المكتبة كانت موجودة عندما عقد المقوقس مع المسلمين صلح الإسكندرية، لقام الروم بنقلها إلى القسطنطينية، ولم يتركوها تقع في يد المسلمين، فقد نص في عقد الصلح على هدنة مدتها أحد عشر شهرا، يباح للروم فيها أن ينقلوا إلى بلادهم ما شاءوا من المتاع والأموال، ومن المستبعد أن يترك الروم هذه الكتب القيمة ولا يقومون بنقلها، إن لم يكن لقيمتها العلمية فلقيمتها المادية، لاسيما وأنهم كان لديهم من الوقت ما يمكنهم من نقل مكتبات لا مكتبة واحدة.

**شهادات مستشرقين مرموقين**

كثير من المستشرقين المنصفين الذين التزموا الحياد والتجرد، ورفضوا هذه المزاعم وردوا عليها، أمثال غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» فقد نفى هذه التهمة وقال بأنها مجرد خرافة، ويقول في هذا الصدد: «وأما إحراق مكتبة الإسكندرية المزعوم، فمن الأعمال الهمجية التي تأباها عادات العرب والمسلمين، والتي تجعل المرء يتساءل: كيف جازت هذه القصة على بعض العلماء الأعلام زمنا طويلا؟ وهذه القصة دحضت في زماننا فلا نرى أن نعود إلى البحث فيها، ولا شيء أسهل من أن نثبت بما لدينا من الأدلة الواضحة، أن المسيحيين هم الذين أحرقوا الكتب التي كانوا يعتبرونها شركية في مكتبة الإسكندرية قبل الفتح العربي مثلما هدموا التماثيل ولم يبق منها ما يحرق».

كما ذكر «ستانلي لين بول» في كتابه الهام «تاريخ مصر في العصور الوسطى»، إن عملية فتح المسلمين للإسكندرية، لم تشهد أي دمار أو نهب من قبل العرب، وليس هناك أية إشارة على ذلك في أي من المراجع المبكرة[٨]، فمنذ استسلام المدينة المشروط لم يكن من المسموح السلب أو أخذ الغنائم، ويسجل يوحنا النقيوسي أن عمرًا بن العاص لم يأخذ شيئا من الكنائس ولم ينزل بها أي أذى من أعمال سلب أو غنيمة، بل على العكس قام بحمايتها في كل مكان، ويقر بذلك كل من فوت وهوبلر في كتابهما "ارتكابات الإفرنج"، حيث يقولان: "الدين الإسلامي لا يبيح إحراق الكتب"[٩]

فيتبين لنا من كل ما سبق أن قصة تدمير مكتبة الإسكندرية وتوزيع الكتب على الحمامات، لم يتسن العثور عليها في أي من المصادر المبكرة، فضلا عن أنها ليست مذكورة من قبل أي كاتب يوناني، كما أنها متناقضة مع رواية يوحنا النقيوسي عن سياسة الحماية التي اتبعها عمرو بن العاص.

**ما الغاية من إلصاق تهمة حريق مكتبة الإسكندرية بالمسلمين؟**

لا شكَّ أنَّ المقصود بهذه التهمة هو تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والإساءة إلى عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهما لما اشتُهرا بتقواهما وورعهما وحكمتهما في إدارة شؤون الرعية، فقد منع عمرو بن العاص ﷺ أعوانه اليعاقبة أن ينتقموا من خصومهم الملكانيين، وخالف ما جرت عليه عادة الفاتحين من أقدم الأزمنة فأعلن حرية العبادة لجميع أهل المدينة.(١٠)

على عكس "تيودوس" أحد قياصرة الرومان ارتأى لجهله وتعصبه أن لا يبقى في الإمبراطورية الرومانية التنصير المسيحي وأن تلغى سائر الأديان والمذاهب فاستولى على المعابد وضبط عقاراتها ونفائسها وقامت قيامة الرهبان وحملوا الحملات المنكرة على المعابد والمصانع وهدموها وعاثوا بما فيها جملة. (١١)

ومن المعروف تاريخيا اختلاف وسائل التبشير الإسلامية في المدن والقرى عن وسائل تنصير الدين المسيحي، فإذا ما تم إلصاق تلك التهمة بالمسلمين وصدَّقها التاريخ فحينئذ يتساوى بالميزان الخلفاء والصحابة المسلمون مع الأساقفة والبطاركة ...وغيرهم كالأسقف (أو البطريرك تيوفيل الذي كان يرمي إلى إبادة الوثنية في أبرشيته.(١٢)

إضافة إلى ماسبق، إنَّ المصريين الذين كانوا يعيشون في الإسكندرية كانوا يدينون بديانات أخرى غير المسيحية، ولأنَّ حادثة الإحراق هذه اصطبغت بالصبغة التاريخية فإنها ستحمل بين طياتها فتيل إشعال نار لا تنطفئ، إنها نار الكراهية والحقد ضد المسلمين، وبذلك تظل هذه النار تتأجج في صدور المصريين ومن حولهم، وتستمر هذه النار بالتوقد يتوارثها ويتذكرها الأبناء والأحفاد ، وكيف لا ؟ لقد فقدوا كتبهم التي آمنوا بها، والتي احتوت طقوسهم ودياناتهم ومعتقداتهم.

**الحكم بالبراءة**

تشهد الوقائع التاريخية في القرون الأولى للإسلام، أن المسلمين كانوا بناة حضارة وحافظوا على تراث الحضارات القديمة، وأقبلوا على نقل كتبها في شتى الميادين إلى اللغة العربية، فلولاهم لضاع الكثير من فلسفة اليونان وعلومهم، كما أنهم درسوا ثقافة الفرس والهنود، ونشطت لديهم حركة الترجمة والتأليف، وشجع حكامهم عليها، هذا إلى جانب إقامتهم للجامعات والمعاهد العلمية والمكتبات في بغداد والقاهرة وقرطبة وغيرها من مدن العالم الإسلامي، وأمة بهذه المثابة من حب العلم والشغف، لا يمكن أن تقدم على حرق مكتبة وتدميرها.

**الهوامش:**

١.عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهَدة والحوادث المعايَنة بأرض مصر، ط١، ص٨٢، مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٨٦هـ.

٢.جواد علي، يحيى النحوي، مجلة الرسالة، عدد ٣٥٤، ١٩٤٢/٣/٩م.

٣.عوني محمد العلوي، من الذي أحرق مكتبة الإسكندرية؟، صحيفة دنيا الوطن، بتاريخ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥م.

٤.راجع: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م.

٥.حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، ص٦٧٩، وكالة المعارف، إسطنبول،١٩٤١

٦.بيشوي فخري، حريق مكتبة الأسكندرية بين الظالم والمظلوم، مشروع الكنوز القبطية، مقال بتاريخ: ١١ أكتوبر ٢٠١٩

٧.زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب

٨.ستانلي لين بول، تاريخ مصر في العصور الوسطى، الطبعة ٦، ترجمة: أحمد سالم، الدار المصرية اللبنانية.

٩.مجلة المقتبس (٤٦/ ٤٧، بترقيم المكتبة الشاملة آليا)

١٠. قصة الحضارة ١٣/ ٢٦٢)

١١. مجلة المقتبس (٣/ ٣، بترقيم المكتبة الشاملة آليا)

١٢. مجلة المقتبس (٣١/ ٥٢، بترقيم الشاملة آليا)

# الرياضة وتعزيز الشخصية.. القوة الحقيقية في أبعاد ثلاثة

مصر
د. أحمد وائل

**الرجال لا يولدون، ولكن يُصنعون**

«الرجل لا يُولد، بل يُصنع»، مقولة عميقة المعنى، طالما تطرق مسامعنا، تحمل دعوة للتأمل في جوهر الذكورة، إنها تعبير عن فكرة لا تنزع عن الرجل طبيعته البيولوجية كذكر، وإنما تنقل الجدل من حيز الوجود المادي إلى فضاء الكينونة المعنوية، لنجد أنفسنا أمام سؤال جوهري مفاده «أيكفي أن يحمل المرء صفاتٍ بيولوجية ذكورية ليكون رجلا بكل ما تحمله كلمة رجل من دلالات اجتماعية وثقافية وأخلاقية؟».

فالمقولة السالفة هي في الواقع، ليست إنكارًا للفطرة إذن، بل هي تأكيد لدور العوامل البيئية، والتربوية في تشكيل الهوية الذكورية، لنصل في النهاية إلى نتيجة مفادها أن الرجل الحقيقي ليس مجرد صاحب جسد قوي، بل هو بناء معقد من القيم والمبادئ، والالتزامات والمسؤوليات، وكذلك الخبرات المتراكمة. وتشكيل الهوية الرجولية هي عملية تشبه عملية نحت تمثال، حيث تُصقل شخصية المرء وتُحدَّد ملامحها عبر سلسلة من التحديات، والإخفاقات، والنجاحات.

**الرجال ليسوا الذكور بالضرورة**

إننا حين نروم استكناه دلالة تعبير «رجل» في نص التنزيل الحكيم، نجده تارة يدل على الذكر من نوع الإنسان، وتارة أخرى يشير إلى المشي على الرجلين، ثم يتسع نطاق الدلالة حين يرد لفظ «رجال» في سياق يُفهم منه

التكليف الموجه إلى كلا الجنسين ذكورا أو إناثا.. فبتلاوة قول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾[1]، لن كون بمقدورنا هنا أن نفهم الرجال بمعنى الذكور حصرا، وإلا فما نصيب الإناث المؤمنات من هذا التكريم القرآني؟! لا بد إذن أن يكون هذا التكريم شاملا كلا الجنسين، بعيدا عن معنى التغليب الذي قال به بعض النحاة، فإنما يشترك كل من الذكور والإناث في معنى «الرجولة» إذا اتصف كل منهم بصفات محددة، بمعنى أن لفظة «رجل» هي اسم وصفي قد يطلق على الأنثى أيضا![2]

ومن دواعي ثراء العربية وخصوبتها أنها لغة صوتية لا صورية، الأمر الذي أهلها في علم الله تعالى لأن تكون وعاء للوحي الخاتم الذي ينزله الله تعالى على النبي الخاتم ليبلغ به الأمة الخاتمة. واللغة الصوتية تكتسب هذا الوصف نظرا إلى أن لكل صوت من أصوات الأحرف العربية دلالة فيزيائية خاصة به. فلنطبق هذا المبدأ على المادة اللغوية «ر ج ل» ولننظر النتيجة، ماذا تخبرنا العربية؟! في مادة «ر ج ل» تجتمع ثلاثة أصوات سويا لتخبرنا عن معان خاصة قريبة من بعضها في الدلالة العقلية، فصوت الراء يشير دوما إلى التكرار، أي تكرار الحركة، والدأب عليها. وصوت الجيم يشير بدوره إلى الجهد والشدة المصاحبين لأكثر الممارسات العملية التي يؤديها الإنسان طلبا للرزق، أما صوت اللام فيشير إلى الحركة البطيئة المتصلة اللازمة بشكل يضفي الاستمرارية الرتيبة على دلالة الصوتين (الراء والجيم). وبفهم الدلالة الكلية الناتجة عن اجتماع الأصوات في مادة «ر ج ل» ترتسم في المخيلة صورة ذهنية لإنسان دائب الكد والتعب في طلب الرزق وبشكل مستمر ورتيب طوال أيام حياته. لقد انطبقت هذه الصورة الذهنية منذ عصور على الذكر من نوع الإنسان، كما انطبقت في بعض الأحيان على الأنثى في المجتمعات الأمومية، ذلك لأنها في بعض الأحيان، لا سيما في تلك المجتمعات الأمومية، تستحق الوصف فعلا بأنها «رَجُلَة»، وقد جاء في المعاجم اللغوية ما نقله صاحبا تاج العروس ولسان العرب عن ابن جني من قول الشاعر:

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطا ... غيرَ جـيرانِ بَني جَبـلَهْ
خَرَّقُوا جَيْبَ فَتـاتِهِمُ ... لَمْ يُبالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَهْ[3]

فأنث لفظ «رجُل» فكان «رجُلة» في بيان واضح بأن العرب أجازت وصف الأنثى بالرجولة أحيانا ما دعت الحاجة وجمعت تلك الأنثى صفات مميزة. بل إن الحديث النبوي يؤكد صحة هذا الاستعمال، كوصف النبي ﷺ لأمنا عائشة (رضي الله عنها) بقوله: «كانت عائشة رَجُلَةَ الرَّأي»[4]، أي لها رأي الرجال حصافة وسدادا، فالأنثى توصف بالرجلة أيضا إذا ما تحققت لديها تلك الصفات المؤهِّلة للرجولة (لا الذكورة) والصفات المؤهلة للرجولة هي ما قدمته الدلالة الصوتية لمادة «ر ج ل» اللغوية.

### المفهوم الإسلامي للقوة

لم تقتصر الرؤية الإسلامية للقوة على مجرد الحالة البدنية، بل تعدتها لتعني كذلك القدرة على ضبط النفس والسيطرة على ثوائرها، ولمن قد لا يعلم، فالقدرة على التحكم في النفس مقدمة على كل مظاهر القوة المادية قاطبة. فليس كل عظيم البنية قويًّا، كما ليس المتهور شجاعًا بحال من الأحوال، فوصف بالقوة وفق المنظور الإسلامي، يتطلب أن يجمع الموصوف في نفسه كلا

أمرين، أولهما اللياقة البدنية المناسبة، لقول النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[٥]. والأمر الآخر ضبط النفس وكبح جماحها، لقول النبي ﷺ: «ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملِكُ نفسَه عندَ الغَضبِ.»[٦] فاللياقة البدنية المناسبة تضمن للمرء القدرة على الفعل، أيا كان هذا الفعل، حسنا أم سيئا، وهنا يبرز دور ضبط النفس وملك زمامها في توجيه ذلك الفعل إلى الاتجاه الحسن حصرًا. وهنا، وهنا فقط، تكون القوة خُلُقًا حميدا يتحلى به المؤمن، وأي انفصال يحدث بين شقي القوة السالفين، فإنه يخرج بها من حيز الخُلُق إلى حيز الطبع الأعمى. فليس المقصود من الحديث الشريف مجرد قوة الجسد، بل هو رمز إلى الصلابة النفسية، والانضباط الذاتي، والقدرة على الاعتماد عليه. فالقوة في الإسلام ليست ترفًا ولا مباهاة، بل هي أمانة ومسؤولية. كما قد أكّد المسيح الموعود عليه السلام على أهمية اجتماع القوتين كلتيهما، الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة، لتكونا عونًا للمؤمن على خدمة الإنسانية، واحتمال المشاق، وإقامة العدل. ولإدراك تفصيل هذه الفلسفة يخبرنا المسيح الموعود عليه السلام فيقول: «الْمُرَادُ بِالْخُلُقِ جَمِيعُ كَيْفِيَّاتِ الْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ الَّتِي أَوْدَعَتْ بَاطِنَ الْإِنْسَانِ مُقَابِلَ أَعْضَائِهِ الظَّاهِرَةِ. مَثَلًا... يَبْكِي الْإِنْسَانُ بِالْعَيْنِ، وَتُقَابِلُ هَذَا الْبُكَاءَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ هِيَ رِقَّةُ الْفُؤَادِ؛ فَإِذَا اسْتَعْمَلَهَا الْإِنْسَانُ فِي مَحَلِّهَا بِاسْتِرْشَادِ مِنَ الْعَقْلِ الْمَوْهُوبِ لَهُ صَارَتْ خُلُقًا. وَكَذَلِكَ يُقَاوِمُ الْإِنْسَانُ الْعَدُوَّ بِيَدِيهِ، وَتُوَازِي هَذِهِ الْحَرَكَةُ الظَّاهِرِيَّةُ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ.. هِيَ الشَّجَاعَةُ».[٧]

والمرء حين يمارس الرياضة البدنية، وعلى رأسها رياضات مباريات المصارعة والقتال، كالمصارعة بأنواعها، والملاكمة، والكاراتيه، والكونغ فو، والتايكوندو، وما إلى ذلك، فإنه في الحقيقة لا يتدرّب على مجرد فنون القتال، ولا يتعلم كيف يقاتل فحسب، بل الأهم من ذلك أن يتعلم متى لا يقاتل، وكيف يظل ضابطا انفعالاته إزاء الضغوط، وكيف يقود بحكمة وثقة[٨]. وهذه الضوابط من أبرز عوامل الفوز، بل هي مقدَّمة على القوة البدنية حتى! وأية جدوى من القوة البدنية ما لم تكن ثمة قوة نفسية توجّهها؟!

**الحدس العُمَري في إدراك الأبعاد الثلاثة للقوة!**

يُعد ثاني الخلفاء الراشدين، سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه نموذجًا تاريخيًّا للمسلم القادر على استشفاف الحكمة الكائنة في التعليم القرآني والسنة النبوية، فمما أُثِر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «علّموا أولادكم السباحة والرمي وركوب الخيل»[٩]. لقد توصل العلم الحديث إلى جوهر الحكمة العمرية الكامنة في المقولة السالفة، فممارسة الرياضات الثلاث، أي السباحة، والرماية، والفروسية، يسير بالصحة في ثلاثة مراقي متوازية، فركوب الخيل لا يمكن أن يتحقق للمرء ما لم يتحكم في الدابة، وهذا التحكم يُعد أمرًا بعيد المنال في الواقع، اللهم إلا إذا تمكن المرء من التحكم في نفسه بادئ ذي بدء. وثانيا، الرمي ينمي لدى الرامي ملكة التركيز الذهني. وثالثا، تأتي السباحة بوصفها تمرينا هوائيا عظيم الفائدة للجسم. وفي النهاية نحصل على إنسان تحققت فيه القوة بأبعادها الثلاثة (الجسدية، والعقلية، والنفسية).

**التداوي بالتمارين الهوائية**

تعريجا على مصطلح «التمارين الهوائية» الوارد في الفقرة

السابقة، فهي تُعرف بأنها كل نشاط بدني يزيد من معدل نبضات القلب والتنفس إلى مدة زمنية مستمرة، بما يفضي إلى تحسين صحة القلب والرئتين. وقد اكتسب هذا القسم من التمارين اسمًا شائعا، هو تمارين "الكارديو". ومن أمثلة تلك التمارين: المشي السريع، والهرولة أو الجري، والسباحة، وركوب الدراجات الهوائية، والجمباز، كما ويدخل تحت تلك التمارين استعمال أجهزة الحركة الثابتة، كالمِشاة والدراجة الثابتة داخل الصالات الرياضية.

والتمارين الهوائية قد تعادل في تأثيرها بعض الأدوية المضادة للاكتئاب هي فكرة شائعة ومدعومة بشكل كبير في الأبحاث العلمية. وقد تثبتت دراسات حديثة من هذه الفكرة، على سبيل المثال، توصلت دراسة نشرتها مجلة هارفارد للعلوم الصحية إلى أن التمارين الهوائية فعالة في علاج الاكتئاب، وأنها قد تكون بنفس فعالية الأدوية المضادة للاكتئاب في بعض الأحوال، حتى بالنسبة لأولئك الذين لديهم استعداد وراثي للمرض. (١٠)

وعلاوة على ذلك، ثمة العديد من الدراسات الأخرى الداعمة لفكرة العلاقة الوثيقة بين ممارسة الرياضة وتحسين المزاج عموما، بما في ذلك علاج الاكتئاب، ومنها ما يُعرف بتحليل تلوي المنشور عام ٢٠٢١، والذي أظهر أن التمارين الهوائية وتمارين المقاومة مفيدة لتحسين أعراض الاكتئاب والقلق(١١).. إذن، فبشكل عام، يوجد ما يشبه الإجماع العلمي على فكرة أن التمارين الرياضية، لا سيما التمارين الهوائية، ذات تأثير إيجابي على الصحة العقلية، بما في ذلك تحسين المزاج، وتقليل أعراض الاكتئاب والقلق.

**الهوامش:**

١. (الأحزاب: ٢٤)
٢. س. م. دويدار، يأْتوك رِجالا، مجلة التقوى، عدد سبتمبر ٢٠١٧م.
٣. ابن منظور، لسان العرب، تحت «ر ج ل»
٤. رواه أبو داود.
٥. الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
٦. أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩)

٧. مرزا غلام أحمد القادياني، فلسفة تعاليم الإسلام، الترجمة العربية،

8. Masood Khan, Built, not born: An Islamic blueprint for strong men, Al Hakam Magazine,

٩. إسحاق بن أبي إسحاق القَرّاب، فضل الرمي في سبيل الله، رقم ١٥

10. Choi, The Role of Exercise in the Prevention of Depression: Results of the HUNT Cohort Study. Depression and Anxiety,

11. Gordon, The effects of aerobic and resistance exercise on depression and anxiety: a systematic review with meta-analysis. International Journal of Mental Health

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

Monthly Islamic Magazine Vol. 38 - Issue 8, December 2025

www.altaqwa.net